وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة كربلاء / كلية العلوم الاسلامية

قسم اللغة العربية

بلاغة الخطاب في القرآن الكريم

" آيات الجنة والنار إختياراً "

رسالة تقدَّم بها الطالب

باسم شعلان خضيّر

الى مجلس كلية العلوم الاسلامية وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في لغة القرآن وآدابها

بإشراف

أ . م . د جاسم عبد الواحد راهي

١٤٤٠هـ ٢٠١٩م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

(إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً)

(صدق الله العلي العظيم)

(الإسراء:٩)

ترشيح رسالة للطبع

نظـــرا لانجـــاز مباحـــث وفصـــول (الرســـالة) الموســـومة (بلاغـــة الخطـــاب فـــي القـــران الكـــريم – الجنـــة والنـــار مثـــالا) لطالـــب الماجســـتير (باسم شعلان خضير) فأني ارشحها للطبع

التوقيع

المشرف أ.م.د جاسم عبد الواحد راهي

مكان العمل جامعة حي بلاد الرافدين لعلوم الإسلامية

التاريخ 13/1/2019

إقرار المشرف

اشهد ان الرسالة الموسومة بـ (بلاغة الخطاب في القران الكريم – الجنة والنار مثالا) التي قدمها الطالب (باسم شعلان خضير) قد تم اعدادها تحت اشرافي في جامعة كربلاء / كلي العلوم الإسلامية وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها .

التوقيع :

المرتبة العلمية : استاذ مساعد

الاسم : د. جاسم عبد الواحد الواحد راضي

مكان العمل : جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

التاريخ : ٢٠١٩/٢/٩

بناء على توصية المشرف والمقوم العلمي ارشح هذا الرسالة

التوقيع :

الاسم أ.م.د مسلم مالك الحسيني

التاريخ : ٢٠١٩/٣/٢٧

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن رئيس وأعضاء لجنة المناقشة بأننا اطلعنا على هذه الرسالة الموسومة بـ (بلاغة الخطاب في القرآن الكريم –آيات الجنة والنار اختياراً) وناقشنا الطالب (باسم شعلان خضير) في محتواها وفيما له علاقة بها ونعتقد أنها جديرة بالقبول بتقدير(جيد جداً) لنيل درجة الماجستير في لغة القرآن وآدابها .

التوقيع:

الاسم: أ.م.د قصي إبراهيم نعمة

المنصب في اللجنة: عضواً

التاريخ: ١٩/ ٦/ ٢٠١٩

التوقيع:

الاسم: أ.م.د علي محمد ياسين

المنصب في اللجنة: عضواً

التاريخ: ١٨ / ٦ / ٢٠١٩

التوقيع:

الاسم: أ.م.د جاسم عبد الواحد راهي

المنصب في اللجنة: عضواً ومشرفاً

التاريخ: 2019/6/23

التوقيع:

الاسم: أ.د مرتضى عباس فالح

المنصب في اللجنة: رئيساً

التاريخ: ٢٠ / ٦ / ٢٠١٩

صُدقت في عمادة كلية العلوم الإسلامية

التوقيع:

أ.م. د جاسم عبد الواحد راهي الحميد

عميد كلية العلوم الإسلامية / جامعة كربلاء

2019/6/23

الاهداء

إلى الذي حمل الغمام بين راحتيه وضم الكبرياء بين أفق عينيه . . . . . .

إلى الذي هوت الأقمار من أفلاكها . . لمّا هوى نوره مضمخاً بالمجد والخلود . . . .

إلى الذي سقى الأنسانيه كرامة وإباء . . . . . .

إلى قمر بني هاشم العباس ابن امير المؤمنين (عليهما السلام)

أهدي هذا الجهد . . . . مستنيراً ببصيرته وعلمه . . .

الشكر و العرفان

اتقدم بوافر الامتنان وجميل العرفان إلى أستاذي المفضال المشرف على رسالتي، (أ .م .د : جاسم عبدالواحد راهي) ، الذي لم يبخل بملاحظاته العلمية ومتابعته الدقيقة لفصول الرسالة حتى استوت على الشكل الذي هي عليه، اسأله سبحانه أن يمدّه بالصحة والعافية.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى كلّ اساتذتي في قسم اللغة العربية ، واخص بالذكر

(ا.د عباس علي اسماعيل) و(أ.د مؤيد الخفاجي) و(أ. د انوار سعيد) و(أ .م .د بشرى حنون) و(أ .م. د رفاه عبدالحسين)و(أ. م. د نوال النقيب) و(أ. م .د ناهدة الغالبي) و(أ .م .د علي محمد ياسين) و(أ. م .د مسلم مالك الاسدي) و(أ.م.د امجد حميد الفاضل) و(أ.م.د صفاء المسعودي) و(أ.م.د حازم الغانمي) وذلك لما قدموه لي من نصحٍ وتوجيهٍ.

والشكر موصول الى (ا.د طعمة مطير النصرالله) و(ا.د ابتسام المدني) لما قدما لي من نصحٍ وتوجيه .

كما اشكُر زملائي في الدراسات العليا في قسم اللغة العربية ، وأخص بالذكر الأخ المخلص حسنين عماد شبع الذي كان ملازماً لي خلال هذه الرحلة البحثيّة فكان لي نعم العون، ولا أنسى الاخ العزيز الاستاذ منتظر محسن الياسري إذ قدّم لي يد العون في هذه الرحلة فكان نعم الاخ المخلص الوفي.

كما أوجه شكري لجناب الحاج الشيخ طاهر جاسم النصرالله ، والاخ الحاج فيصل النصرالله ، والاخ قيس النصرالله والاخ هيثم ثامر النصرالله.

كما أخصُ بالشكر والتقدير كادر مكتبة الروضة الحيدرية، ومكتبة العتبة الحسينية المقدسة، ومكتبة الامام الحكيم.

كما اشكر والديّ واخوتي وزوجي وابنائي على مساندتهم لي في اكمال هذا المشوار العلمي، واعتذر لمن فاتتني ذكره.

والحمد لله ربِّ العالمين على توفيقه وسداده، وما يقيني إلاّ بالله الواحد الأحد، فهو وحده مُيسّر الأمور، ومُرشد العباد لما فيه من خيرٍ وتوفيقٍ وسداد.

الخلاصة

تحاول هذه الدراسة تتبع بلاغة الخطاب في القرآن الكريم آيات الجنة والنار مثالاً ، ومعرفة ما هي الفنون البلاغية التي احتوتها تلك الآيات ، لاسيما وان القرآن الكريم هو النموذج الأمثل في اصدار الخطاب بشتى ألوانه وله أساليبه المتنوعة في التعبير في الصور البيانية المتخيلة وتتبع اسلوب الخطاب الذي استعمله الخالق عز وجل للترهيب والترغيب لتحقيق جزء من الإقناع والجذب للدين الإسلامي الجديد .

وتبعاً لمقتضيات الموضوع فقد جاء بثلاثة فصوليسبقه تمهيد . اهتم الفصل التمهيدي بدراسة البلاغة بين جدلية النشأة واتجاهات التوظيف ، اما المبحث الأول فقد جاء بمفهوم الخطاب دلالالته اللغوية والاصطلاحية . خصص الفصل الأول لدراسة الاداء البياني في خطاب الجنة والنار فدرس فيه البينة التشبيهية والبنية الاستعارية والبنية المجازية والبنية الكنائية . وتناول الفصل الثاني البنية التركيبية من حيث تقديم وتأخير والحذف والذكر والنهي والاستفهام والنداء وغيرها.واما الفصل الثالث فقد جاء بدراسة الاداء البديع في بلاغة خطاب الجنة والنار ودرس المحسنات البديعية والمحسنات المعنوية ، وجاء البحث على المنهج الوصفي التحليلي الذي تتبع نصوص وحاول بيان عناصرها . اما الخاتمة فقد كانت محتوية على جملة من النتائج أهمها كان الوجه التشبيهي محتوياً على تنوع ودقة كبيرة وقوة في ميلها إلى المادية بينما امتازت الآيات الخاصة بخطاب الجنة والنار بتتبعها التشبيهات المعنوية . امتاز السياق القرآني للتشبيه بالتوظيف الجمالي المائل إلى اسلوب التأثير العاطفي.

فهرست المحتويات

الـــمـــوضـــــوع	رقم الصفحة
الاية	أ
الاهداء	ب
الشكر والعرفان	ج– د
فهرست المحتويات	هـ – و– ز
المقدمة	١
الفصل التمهيدي : بلاغة الخطاب القرآني بين النشأة والتأصيل	٤–٣٣
التوطئة	٤
المبحث الاول : مفهوم البلاغة بين جدلية النشأة واتجاهات التوظيف	٥
اولاً : مفهوم البلاغة في اللغة والاصطلاح	٥
ثانياً : نشأة البلاغة واسباب الظهور	٧
ثالثاً : بواعث التوجه البلاغي في الدرس القراني	٨
رابعاً : اثر دراسات الاعجاز القراني في تطور البحث البلاغي وتجلياته	١٠
المبحث الثاني : مفهوم الخطاب ودلالالته اللغوية والاصطلاحية	١٥
اولاً : مفهوم الخطاب في اللغة والاصطلاح	١٥
ثانياً : اركان الخطاب واسسه الفنية	١٨
ثالثاً : مفهوم الخطاب القراني ومراتبه	٢٠
رابعاً : اقسام الخطاب القراني	٢٣
خامساً : اهداف الخطاب القراني	٢٥
سادساً : بنية الخطاب وعلاقته بالنص	٢٧
سابعاً : الفرق بين الخطاب القراني والخطاب البشري	٣٠
الفصل الاول : الاداء البياني في بلاغة خطاب الجنة والنار	٣٤–٧٦

توطئة	٣٤
المبحث الاول : البنية التشبيهية	٣٥
المبحث الثاني : البنية الاستعارية	٤٧
المبحث الثالث : البنية الكنائية	٥٥
المبحث الرابع : البنية الحقيقية والمجازية	٦٥
الفصل الثاني : الاداء التركيبي في بلاغة خطاب الجنة والنار	٧٧-١٢٢
توطئة	٧٧
المبحث الاول : بلاغة الخطاب في احوال الجملة الأنشائية	٧٩
أولاً : الاستفهام	٨٠
ثانياً : النداء	٨٢
المبحث الثاني: أثر التركيب في بلاغة خطاب آيات الجنة والنار	٨٥
اولا : التقديم والتأخير	٨٥
ثانيا : الذكر والحذف	٨٩
ثالثاً : التعريف والتنكير	٩٤
رابعا : الفصل والوصل	٩٩
خامسا : القصر	١٠٣
سادساً: الخبر	١٠٨
سابعاً: الايجاز والاطناب والتوكيد	١١٤
الفصل الثالث : الاداء البديعي في بلاغة خطاب الجنة والنار	١٢٣- ١٦٣
توطئة	١٢٣
المبحث الاول : المحسنات اللفظية	١٢٤
اولا : الجناس والتكرار	١٢٤
ثانياً: الاحتباك	١٣٠
ثالثاً : الموازنة	١٣٢
رابعاً : الفاصلة	١٣٤
سادسا : حسن الابتداء وحسن التخلص	١٣٩

المبحث الثاني : المحسنات المعنوية	١٤٣
اولاً : الطباق	١٤٣
ثانيا : التورية	١٤٩
ثالثا : المقابلة	١٥٢
رابعا : المشاكلة	١٥٤
خامساً : الالتفات	١٥٦
سادساً : تاكيد المدح بما يشبه الذم	١٥٨
سابعاً : تاكيد الذم بما يشبه المدح	١٥٩
ثامناً : الطي والنشر	١٦١
الخاتمة	١٦٤
فهرست المصادر والمراجع	١٦٧
الملخص باللغة الانكليزية	A-B

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيِّد المرسلين وسراج المتقين والمبعوث رحمة للعالمين، الذي أضاء الدنيا بالإسلام، وانقذ البشرية من الكفر والظلام ، محمد الصادق الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه الأخيار المنتجبين إلى قيام يوم الدين.

وبعد...

يُعد القرآن الكريم الإنموذج الامثل، في اصدار الخطاب بشتى ألوانه ولـه أساليبه المتنوعة في التعبير بالصورة البلاغية المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن المشهد المنظور المؤثِّر، بطبيعة البشرية المختلفة، ومن تلك الخطابات المؤثِّرة في القرآن الكريم خطاب الجنَّة والنَّار ذلك الاسلوب الذي استعمله الخالق عزَّ وجلَّ في إطار الترغيب والترهيب اللذان يشكلان جزءاً لا يتجزأ من منظومة القرآن الكريم بوصفه كتاب هداية واصلاح في غاية الروعة من حيث جمال الألفاظ، وتنوَّع مستويات التعبير، وتعدد التراكيب والصور المتنوعة في تقديم الموضوع لاسيما ما يتعلق بيوم القيامة من الثواب والعقاب (الجنَّة والنَّار). وانطلاقاً من هذه المحاور الجوهرية ، نقدم هذه الدراسة بعنوان (**بلاغة الخطاب في القرآن الكريم_ آيات الجنَّة والنَّار إختياراً**).

لقد وقع الاختيار على هذه الدراسة بعد البحث في القرآن الكريم، فوجدنا آيات كثيرة تغطي هذه الدراسة من جميع جوانبها، وأنَّ هذه الدراسة لم تكتب فيها رسالة علمية بحسب ما استقصيتُ تبيّن أثر البلاغة في الكشف عن خطاب الجنَّة والنَّار في القرآن الكريم .

ومن هنا فأهمية الموضوع تكمن بالبحث في القرآن الكريم أشرف وأجل كتاب على وجه الأرض المتفرّد في تقديم المعنى البليغ ، والتأثير في المتلقي تأثيراً واضحاً وذلك، لان موضوع الجنَّة والنَّار في القرآن الكريم من أظهر الموضوعات التي ألحَّ عليها القرآن الكريم ، خلف كل مسألة تثار، أو حكم يقرر، لذا جاء اختيارنا لموضوع هذه الدراسة لنتلمس جماليات التعبير عن هذين المكانين (الجنَّة والنَّار) ،و ممّا أسهم إسهاما فعالاً في عملية الإقناع ، إذ أعطى للمتلقي مجالاً للتفكير في مكانيين متقابلين، ليأتي بعد ذلك الحكم على أيهما أحق بالاتباع وعلى أيهما أولى بالاختيار عبر استعمال الخطابات البلاغية المتنوعة التي توضَّح وتفِّسر بنية كلِّ منهما معنوياً ودلالياً.

وبعد التوكل على الله ، إجتهدنا في البحث والتقصِّي الحثيثين ، حتى قامت هذه الدراسة على فصل تمهيدي وثلاثة فصول سُبِقت بمقدمة وانتهت بخاتمة ، أجملنا فيها اهم النتائج التي توصلّت اليها الدراسة، وقائمة بالمصادر والمراجع، وملخص باللغة الانجليزية. جاء الفصل التمهيدي على مبحثين ، في الاول بيّن الباحث مفهوم البلاغه بين جدلية النشأة واتجاهات التوظيف ، أمَّا المبحث الثاني فقد جاء بعنوان مفهوم الخطاب ودلالاته اللغوية والاصطلاحية.

وخُصص الفصل الأول للأداء البياني في بلاغة خطاب الجنَّة والنَّار، وقد قُسِّم على أربعة مباحث تناول المبحث الأول البنية التشبيهية ، وتحدث المبحث الثاني عن البنية الاستعارية في حين إستعرض المبحث الثالث البنية الكنائية ،وبيّن المبحث الرابع بنية الحقيقة والمجاز، وتناول الفصل الثاني الأداء التركيبي في بلاغة خطاب آيات الجنَّة والنَّار ،وقد توزع على مبحثين ، شمل الأول : بلاغة الخطاب في احوال الجملة الإنشائية، وتناول الثاني أثر التركيب في بلاغة خطاب الجنة والنار ، في حين جاء الفصل الثالث بعنوان الأداء البديعي في بلاغة خطاب الجنَّة والنَّار وقد قُسِّم على

مبحثين ، الأول بلاغة الخطاب في المحسنات اللفظية، فيما كان المبحث الثاني بلاغة الخطاب في المحسنات المعنوية ،أمّا مايخص منهج البحث ، فقد وجد الباحث من المناسب اعتماد الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي ،وافادت الدراسة من دراسات سبقتها كان من اهمها كتاب الجنَّة في القرآن دراسة جمالية ، للدكتورة ابتسام المدني ، ورسالة الماجستير الجنَّة في القرآن ، دراسة في البناء اللغوي والإسلوب البلاغي ، للباحث خليل عبد القادر قطناني ، جامعة النجاح الوطنية فلسطين . وقد اعتمدت الدراسة على عدد من المصادر والمراجع مثل اسرار البلاغة للجرجاني ،والنكت في اعجاز القرآن للرماني والاتقان في علوم القران للسيوطي ، والصناعتين لأبي هلال العسكري ، وبعض كتب التفسير مثل التفسير الكبير للرازي ، التبيان في تفسير القرآن للطوسي ،وتفسير المنار محمد رشيد رضا وغيرها، ومن الكتب البلاغية مثل مختصر المعاني للتفتازاني ،وعلم المعاني في البلاغة العربية، الدكتور عبد العزيز عتيق وعلوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني) محمد أحمد قاسم، محيي الدين ديب وغيرها.

كما أنَّي لا أدعي الكمال في رسالتي فإن أصبت فبتوفيق من ربّي وإنْ قُصَّرت فمنه استمد العون والسداد وآخر دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ.

الفصل التمهيدي

بلاغة الخطاب القرآني بين النشأة والتأصيل

توطئة

يتناول الفصل التمهيدي التوجه البلاغيّ وتجلياته في الخطاب القرآنيّ، ويقف عند مفهوم الخطاب القرآنيّ وأقسامه وأهدافه، والفرق بين الخطاب الإلهي والبشريّ ، ومن هنا تأتي أهميّة الموضوع في تناوله لقضايا مهمة مثل البلاغة في القرآن، والخطاب ومفهومه، وهاتان القضيتان تستمدان أهميّتهما من أنهما تصبّان في ميدان التدليل على الإعجاز القرآنيّ بهدف الوصول إلى بيان مفهومي الخطاب والبلاغة ويهدف إلى اقتفاء أثر البلاغة بألوانها في الخطاب القرآنيّ عبر رصد بعض تجلياتها، ثم يبيّن العلاقة بين النص والخطاب بعد بيان أقسام الخطاب وأهدافه، ثم يقف البحث على أهم الفروق التي تميّز الخطاب القرآنيّ عن البشريّ.

المبحث الاول

مفهوم البلاغة بين جدلية النشأة واتجاهات التوظيف

أولاً: مفهوم البلاغة في اللغة والاصطلاح

البلاغة لغةً:

جاءَ في لسان العرب(بلغ): بلغَ الشيءُ، يَبْلُغُ بُلُوغاً وبلاغاً: وصلَ وانتهى. وبَلَغْتُ المكانَ بلوغاً: وصلتُ إليه، وكذلك إذا شارفتَ عليه، ومنه قوله تعالى :(**فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ**) [البقرة: ٢٣٤] ، أي قارْبنَهُ. وبلغَ النبت: انتهى.. والبلاغةُ: الفصاحة.. ورجلٌ بَليغٌ وبَلْغٌ وبِلْغٌ: حسنُ الكلامِ فصيحُه، يبلغ بعبارةِ لسانه كُنْهَ ما في قلبه، والجمعُ بلغاء، وقد بَلُغَ بلاغةً أي: صارَ بليغاً[١].

البلاغة اصطلاحاً:

هي مطابقةُ الكلامِ الفصيحِ لمقتضى الحال، فلابدَّ فيها مِنَ التفكيرِ في المعاني الصادقةِ القيّمةِ القويةِ المبتكرةِ منسّقة حسنة الترتيب، مع توخّي الدقّة في انتقاء الكلماتِ والأساليب على حسبِ مواطنِ الكلامِ، ومواقعه، وموضوعاته، وحال من يُكتب لهم أو يُلقى إليهم[٢].

(١) ينظر: لسان العرب، للأمام العلامة ابن منظور، تصحيح- أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي،بيروت-لبنان، ط٣،١٤١٩هـ-١٩٩٩م، مادة بلغ.

(٢)ينظر: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبه، كامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، (د.ط) (د.ت)، ٤٥.

فيما يفسّرُ ابن المقفع (ت١٤٢هـ) البلاغة بأنّها: ((اسم جامع لمعانٍ تجري في وجوه كثيرة؛ فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة ،ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جواباً، ومنها ما يكون ابتداء، ومنها ما يكون شعراً، ومنها ما يكون سجعاً وخطباً، ومنها ما يكون رسائل، فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها، والإشارة إلى المعنى، والإيجاز، هو البلاغة))[١] .

وقال الرماني (ت٣٨٦هـ): ((البلاغة: إيصالُ المعنى إلى القلبِ في أحسن صورة من اللفظ))[٢]

ثانياً : نشأة البلاغة وأسباب الظهور:

إنّ بيئةَ المتكلمين، والأصوليين هي البيئة التي نشأت فيها البلاغة، وترعرعت، فما من عَلَم من أولئك البلاغيين الجهابذة إلّا وله ارتباط، أو اشتراك، أو صلة ما بعلم الكلام، أو علم الأصول، والجمهور الغالب منهم كان له صلة، أو اطلاع على الفلسفة والمنطق، سواء أكانت الفلسفة العامة أم الفلسفة الكلاميّة، ويتفق ذلك في أدوار حياة البلاغة نشأة وتطوراً وجموداً[٣] .

إذاً للبلاغة وشائج تربطها بعلم الكلام أو علم الأصول، ولذا يبدو للبحث إنّ علم البيان نبتَ في دهاليز المتكلمين، وقد كان نشاطهم

(١) البيان والتبيين الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر(٢٥٥هـ)، تحقيق، عبد السلام هارون ،دار الفكر العربي،بيروت، (د.ط) ،١١٥/١-١١٦.
(٢) النكت في إعجاز القرآن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تحقيق- محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول عبد السلام ، دار المعارف،بيروت، ط٣، ٧٥-٧٦.
(٣) ينظر: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، أمين الخولي، دار المعرفة،القاهرة،ط١،١٩٦١م، ١٢٩.

واسعاً، وكان لهم أثرٌ كبيرٌ في الحياة العقليّة بعامّة، وفي البلاغة بخاصّة[١] .

ولعلّ من البديهيّ في هذا المقام قولنا إنّ البلاغة في نشأتها تدين لقضية الإعجاز القرآنيّ، تلك القضيّة التي نمت في كنفِها الدراسات البلاغيّة، فكانت بداياتها معها، وازدهرت أيّما ازدهار، وغدت قرينة لها.

انّ ارتباطُ البلاغةِ بقضية إعجاز القرآن أمرٌ واضحٌ جليٌّ في كثير من كتب البلاغة، ومصادرها الأساسيّة، إذ يكفي الاطلاع على عناوين بعضها لإدراك هذه العلاقة القويّة؛ فدلائل الإعجاز للجرجانيّ، ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للرازيّ، والتبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن لابن الزملكاني وغيرها من كتب البلاغة الأساسيّة التي كانت غاية بحثها الوصول إلى فهم الإعجاز في القرآن الكريم، ولذلك وجد في كثير منها بابٌ لدراسةِ الإعجاز. وقد انتقد العلويّ أولئك البلاغيين الذين لم يفردوا باباً في كتبهم لهذا الموضوع الذي كان يرى فيه الهدف المقصود، والغرض الأساسيّ من دراسة البلاغة[٢] .

ولا نجانب الصواب إذا قلنا إنّ القرآن الكريم هو أهمّ أسباب نشأة علم البلاغة، بل لنقل هو سبب نشأتها، وأبرز مضمار لدراساتها.

(١) ينظر: مناهج بلاغية، أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات الجامعية، الكويت،ط١، ١٩٧٣م، ٢٢٥.

(٢) ينظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي يحيى بن حمزة(٧٤٩هـ)، ، الكتب العلمية،بيروت،ط١،١٩٨٣م، ج٣: ٣٦٨.

ثالثاً : بواعث التوجه البلاغي في الدرس القرآني :

هذا مردّه قبل كلّ شيء إلى أهميّة اللغة وموقعها عند العرب خاصّة، أو لنقل الكلام –على حدّ تعبير الجرجاني– ودوره في حياة الإنسان، وهذه إشارة إلى وظائف الكلام أو اللغة البراغماتيّة، وأهميّة هذه الوظائف في نقل العلم إلى خارج إطار عالِمه، ولعلّ أبرز ما يعدده الجرجانيّ من فضائل للكلام هو التفريق بين الكفر والإيمان والإساءة والإحسان وهذا يعيد تجسير الضفاف بين القرآن وعلم البلاغة.

ويرى الجرجانيّ ((أنّ الكلامَ هو الذي يعطي العلوم منازلها، ويبيّن مراتبها، ويكشف عن صورها، ويجني صنوف ثمرها، ويدلّ على سرائرها، ويبرز مكنون ضمائرها، وبه أبان الله تعالى الإنسان من سائر الحيوان، ونبّه فيه على عظم الامتنان، فقال عزّ من قائل: **(الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ)**[الرحمن ١-٤]، فلولاه لم تكن تتعدى فوائد العلم عالِمه، ولأصحّ من العاقل أن يفتّق عن أزاهيرِ العقلِ كمائمه، ولتعطلت قوى الخواطر، والأفكار ومعانيها، واستوت القضيّة في موجودها وفانيها.. ولبقيت القلوبُ مقفلة على ودائعها، والمعاني مسجونة في مواضعها.. ولما عرف كفر من إيمان، وإساءة من إحسان))[1].

ومن بواعث الدرس البلاغي في القرآن إضافة إلى فضائل الكلام والتفريق بين الكفر والإيمان تقديم المزيد من الإثباتات، والدلائل على الإعجاز القرآنيّ يقول أبو هلال العسكريّ: ((إنّ الإنسانَ إذا أغفل

(١) ينظر أسرار البلاغة في علم البيان، الإمام عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، تحقيق- د. عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،ط١، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م، ١٣.

علم البلاغة، وأخلّ بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصّ الله به كتابه من حسن التأليف، وبراعة التراكيب وما شحنه به من الإيجاز البديع، والاختصار اللطيف إلى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عنها، لأنّ البلاغة تعتبر من أهمّ وسائل إدراكِ الإعجاز القرآنيّ، وذلك بأن يتمكّن البليغ فيها، ويتقنها، ويفهم أساليبها وفنونها))[1].

ومن بواعث الدراسات البلاغية محوريّة التحدي فيما يخص الإعجاز؛ التحدي بالإتيان بمثل هذا الكلام البديع بما يوشّيه من ألوان البيان. وهذا التحدي أعجز أرباب الفصاحة العرب فما بالك بغيرهم.

إنّ القرآن العظيم معجز من وجوه متعدّدة من حيث فصاحته، وبلاغته، ونظمه، وتراكيبه، وأساليبه، وما تضمنه من أخبار ماضية، ومستقبلة، وما اشتمل عليه من أحكام جليّة، وقد تحدّى ببلاغةِ ألفاظه فصحاء العرب كما تحداهم بما اشتمل عليه من معان صحيحة كاملة، فأسلوب كلام القرآن لا يشبه أسلوب كلام الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، و كلام رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ، الوارد في أحاديثه الشريفة لا يقدر أحد من الصحابة، ولا من جاء بعدهم أن يتكلّم بمثل أساليبِه في فصاحته وبلاغته[2] .

(١) الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، تحقيق- علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت (د.ط)،١٤١٩هـ، ١٠.

(٢) ينظر: الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، محمد حسين سلامة ،دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ١١-١٢.

فالدراسات البلاغية في القرآن كانت غايتها إثبات إعجاز القرآن الكريم، وتفنيد مواطن الجمال البيانيّ وأساليبه، وروعة النظم وبديعه، فإثبات بلاغته الفائقة جزء من التحدي، ودليل دامغ على الإعجاز، واستحالة الإتيان بمثله رغم أنّه يحاكي كلام العرب، و نظم على مثاله في الأساليب والبيان.

وبهذا اصبحت البلاغة جانباً من الجوانب المهمة في إعجاز القرآن الكريم، فيقف القارئ على الأسلوب الرائع، ودقة التصوير الفنيّ في هذا الكتاب ليكون ذلك دليلاً قوياً، وبرهاناً ساطعاً على صدق الرسول الكريم في رسالته، وعظمة القرآن الكريم وشموخه في تحديه لأساطين البلاغة والفصاحة[١] .

رابعاً: آثر دراسات الأعجاز القرآني في تطور البحث البلاغي وتجلياته :

يقول الخطابي: ((وإذا تأمّلت القرآن وجدت هذه الأمور" اللفظ الحامل، والمعنى، والرباط الناظم" في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً، وأشدّ تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه، وأمّا المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنّها هي التي تشهد لها العقول بالتقدّم في أبوابها، والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها))[٢] .

في قول الخطابي السابق نجد أنّ التركيز كان على (حامل المعنى والمعنى والرباط الناظم)،وعامةً ركزت الدراسات البلاغية على النظم القرآني برمته، وبراعة اختيار الألفاظ ومواءمتها للسياق، وما يخلق تشاكلها من جماليّات لاحدّ لها، ولاحصر لآثارها الجماليّة وتأثيرها

(١)ينظر: الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم: ١١-١٢.
(٢) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي الخطابي، تحقيق- محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام ،دار المعارف ،مصر، ط٣،١٩٧٦م، ٢٧.

العظيم في نفس المتلقي ،جمالية الألفاظ ودقة تركيبها بعد الانتقاء الحكيم المدرك الناظم من محور الاختيار تجعل إمكانية استبدال كلمة قرآنيّة أمراً ممجوجاً سيورث فساد المعنى وسقوط البلاغة.

يقول الباقلاني: ((فجماليّة الألفاظ في انتقائها، واختيار موقعها من الجملة القرآنيّة، ووضع كلّ نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فضول الكلام موضعه الأخصّ الأشكل به الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه: إمّا تبدّل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإمّا ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة))[1] .

ولا غرو أن الدراسات البلاغيّة التي بغيتها تعليل إعجاز القرآن قد تكاثرت وتوالدت. لأنّ عمق النصّ عيّنة الدراسة هو القرآن الكريم سيورث غوصاً إلى الأعماق لدارسه، فبحره الزاخر العباب يمطر الدارس شآبيب العجب من بديع نظمه، وسحر بيانه، وعمق معانيه، سحر جلّ عن الغفلة، والسهو، والوهن وغيرها من عيوب الكلام البشريّ، فتراه ثريّاً بتنوع آياته وسوره في المواضيع، وعظيم التراص، والتعاضد، والارتباط يقول ابن عطية: إنّ الله قد أحاط بكلّ شيء علماً، فإذا ترتّبت اللفظة من القرآن علِم بإحاطته أيّ لفظة تصلح أن تلي الأولى، وتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أوّل القرآن إلى آخره، والبشر يعمهم الجهل والنسيان والذهول، ومعلوم ضرورة أن أحداً من البشر لا يحيط بذلك، فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة، ليبطل قول من قال: إنّ العرب كان في قدرتها الإتيان بمثله فصرفوا عن ذلك، والصحيح أنّه لم يكن في قدرة

(١)إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب، تحقيق- السيد أحمد صقر، دار المعارف،مصر، ط٥،١٩٩٧م، ١٦.

أحد قط؛ ولهذا ترى البليغ ينقّح القصيدة أو الخطبة حولاً، ثمّ ينظر فيها فيغيّر فيها، وهلم جرّا، وكتاب الله لو نزعت منه لفظة، ثم أدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم يوجد.. وقامت الحجة على العالم بالعرب؛ إذ كانوا أرباب الفصاحة، ومظنة المعارضة(١) .

ثمّ تتوغل الدراسات البلاغية لتسبر أغوار المسالك الأدبيّة، وتقف عند الجماليات الثرّة للأساليب الفنيّة والبيانيّة، مع بيان ما لبراعة استعمال الأدوات التعبيريّة الخاصة من مد بحر تفرّد النصّ القرآنيّ وإعجازه. لنتأمل عيّنةً من ذلك:

قال تعالى:(الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)[إبراهيم: ١٤-١]، ((فقد استعار الظلمات للضلال بجامع عدم الاهتداء في كلّ منهما، واستعار النور للهداية بجامع الاهتداء في كلّ منهما، وهذا المسلك الأدبيّ يسميه البلاغيون استعارة تصريحية، هذه الاستعارة تجعل الهدى والضلال نورا وظلمة، إنّها تبرز المعاني المعقولة الخفيّة في صورة محسوسة، حية متحركة كأنّ العين تراها واليد تلمسها، ثمّ لنتأمّل كلمة الظلمات كيف تصوّر الضلال ليلاً دامساً يطمس معالمَ الطريق أمام الضّال فلا يهتدي إلى الحق، ثمّ كلمة النور كيف تصوّر الهداية مصباحاً منيراً ينير جوانب العقل والقلب، ويوضح معالم الطريق أمام المهتدي، فيصل في سهولة

(١) ينظر المحرر الوجبز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تح- عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية، لبنان،ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م،ج١،ص٤٩.

ويسر إلى الحقّ فتسكن نفسه، ويطمئن قلبه، ويحظى بالسعادة في الدنيا والآخرة))[١] .

ما أجمل هذا التصوير وما أروعه إنّه جمال اختصّ به القرآن في أداته التعبيريّة في الحرف، والكلمة، والعبارة، والسورة ومن شأن هذا الجمال أن يسترعي الأسماع، ويثير الانتباه، ويحرّك الوجدان، فما علينا إلّا أن نتأمّل كلمات القرآن، وآياته وتعبيراته، وصوره، ونغوص في أعماق معانيه لنحاول الوصول إلى الأسرار البلاغيّة التي تكمن في كتاب الله، هذه الأسرار لايبرزها إلّا علم النظم وإلّا بقيت محتجبة في أكمامها، حتى نستشعر حقيقته، ونتشرّب بيانه المعجز الذي لا يشبع منه العلماء، ولا تنقضي عجائبه[٢] .

إنّنا نجدُ من البيان في تضاعيف القرآن الكريم شيئاً كثيراً، ولا غرو أن تتوالد تلك الأساليب الفنيّة ببيانها وبديعها على صفحات الكتاب العزيز وهو قد تحدّى العرب في عقر ديارهم بفصاحتهم وبأثمن ما لديهم لغتهم ديوانهم وملعبهم وأكثر مايبرعون به.

(يُخَادِعُونَ اللَّهَ)[البقرة:٩] استعارة تمثيلية. شبّه المنافقين بشعب يخاتل سلطانه. في الحقيقة تكمن جماليّة الاستعارة والصورة الفنيّة فيما تترك من أثر في نفس المتلقي وهذه في الواقع وظيفتها و ((إنّ الأثر الفني للصورة عند المتلقي أهم شيء فيها،إذ أنها تقصد إثبات الخيال في النفس، والصورة الفنيّة هي العنصر الأساس في تكوين

(١) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة، ط١،١٤١٧هـ -١٩٩٧م،ج٣،٣٨٠.

(٢) ينظر الأساليب البيانية والخطاب الدعوي الواعي، د. نعمان شعبان علوان، مجلة مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر، الجامعة الإسلامية،غزة،١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، ١٣٩٤-١٣٩٦.

مفهوم واضح للأسلوب، لأنّها مجموعة العلاقات اللغويّة، والبيانيّة، والإيحائيّة القائمة بين اللفظ والمعنى))[١] .

ومن ذلك قوله تعالى: (يَجْعَلُونَ أَصْابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم)[البقرة:١٩] تشبيه بليغ. وكذلك: (الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ) [البقرة: ٢٧] استعارة مكنية.

(وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ)[البقرة:٦١]، كناية عن إحاطتها بهم كما تحيط القبة بمن ضربت عليه. أمَّا الكناية فأثرها يكمن في ((تنبيه الملكات واستثارة الأذواق من خلال اللمحة والإشارة والتعريض والرمز والإيحاء والمبالغة ووضع المعنويات في صور المحسوسات))[٢] .

(١)الصورة الفنية في المثل القرآني، محمد حسين الصغير، دار الرشيد للنشر، بغداد، (د.ط)،١٩٨١م، ٣٧.
(٢)الصورة الفنية معياراً نقديّاً، د. عبد الإله الصائغ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (د.ط)،١٩٨٧م، ٣٧٣.

المبحث الثاني

مفهوم الخطاب ودلالته اللغويّة والإصطلاحيّة

اولاً : مفهوم الخطاب في اللغة والاصطلاح

الخطاب مصدر الفعل خطب، ((والخاء والطاء والباء أصلان: أحدهما الكلام بين اثنين، يقال خاطبه يخاطبه خطاباً، والخطبة من ذلك. وفي النكاح: الطلب أن يزوَّج، قال الله تعالى: ﴿وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاء﴾[البقرة : ٢٣٥] ،والخطبة: الكلام المخطوب به. ويقال اختطب القوم فلاناً، إذا دعوه إلى تزوج صاحبتهم. والخطب: الأمر يقع، وإنّما سُمي بذلك لما يقع فيه من التخاطب والمراجعة، وأمّا الأصل الآخر فاختلاف لونين))[١].

ويقول الجوهري (ت٣٩٣هـ) (وخطبت على المنبر خطبة بالضم، وخاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً)[٢].

ويقول الزمخشري (ت٥٣٨ه) ((الخطاب البين من الكلام، الملخص الذي يتبينه من خاطب به لا يلتبس عليه))[٣]، والخطاب المواجهة بالكلام. واشار في موضع آخر ((خطب، خاطبه أحسن

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي،أبو الحسين، تحقيق- عبد السلام محمد بن هارون، دار الفكر، بيروت،١٣٩٩هـ، ٢/ ١٩٨.
(٢) الصحاح، الجوهري، تحقيق: د. إيميل بديع يعقوب، د. محمد نبيل الطريفي، دار الكتب العلمية، لبنان،ط١، ، مادة خطب : ١٢١/١
(٣) الكشاف، الزمخشري، دار الفكر، بيروت، ط١،١٩٧٧م، ٨١-٩٠.

الخطاب، وهو المواجهة بالكلام، وخطب الخطيب خطبة حسنة، وخطب الخاطب خطبة جميلة))[١].

والخطاب عند ابن منظور (ت٧١١هـ) مراجعة الكلام : (الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً، وهما يتخاطبان)[٢].

المعنى الاصطلاحي:

أمّا الخطاب اصطلاحاً ((فهو اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو مهيئ لفهمه))[٣] .

وقد استعمل الخطاب مرادفاً للكلام عند اللغويين العرب، ودلالة الكلام عند اللغويين العرب ((ترتبطُ بنظم الألفاظ التي ركبت فيما بينها على وفق سياق من التأليف المخصوص الذي استوفى المعنى المراد، فاستغنت بنفسها دلاليّاً عن غيرها، كونها قد انطوت على شبكة دلاليّة خاصّة ومتكاملة، الأمر الذي يجعلها تقوم بنفسها ، وفيها وحدة مستقلة))[٤] .

لقد تطور مفهوم الخطاب ونجد أنّ العرب قد حاولوا أن يطوروا نظريّة في النصّ خدمة لأداء المعنى ودراسته، وهذا يعني أنّهم قد تجاوزو المفهوم اللفظيّ للكلام، والمفهوم الجمليّ، ليستقرّ عندهم أنّ المتكلّم، في تعبيره عن حاجاته، لا يتكلّم بألفاظ، ولا بجمل، ولكن من

(١) أساس البلاغة، الزمخشري، تحقيق- د. مزيد نعيم، د. شوقي المعري، مكتبة لبنان ناشرون،ط١، ١٩٨٨م، مادة خطب: ٢٥٥/١
(٢) لسان العرب، مادة خطب :١/ ٣٦٠
(٣) الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن الآمدي، تحقيق- عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت- لبنان، (د.ط)، ج٩٥،١.
(٤) الثقافة العربية الحديثة والمرجعيات المستعارة، عبد الله إبراهيم ،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-بيروت، ط١٩٩٩،١م،١٠٠.

خلال نصّ، فاتسعت بهذا دائرة البحث الدلاليّ، وانتقلوا من البحث في مفردة أو جملة إلى البحث في خطاب يتمّ فيه تحميل المفردات والجمل بدلالات يقتضيها موضوع البحث[١] .

لقد تعرّض مفهوم الخطاب عند العرب لموجة من التجاذبات وعلى اثرها انزاح عن دلالته المستقرّة نسبيّاً إذ كان الخطابُ مصطلحاً واضح الدلالة في الأصول، ولا يثير فيها دلالة وممارسة أية إشكالية، إنّما تكمن الإشكاليّة الأساسيّة في اجتذابه القسريّ خارج حقله، وشحنه بدلالات غريبة عنه، وذلك بتأثير مباشر من المحمول الدلاليّ لمصطلح الخطاب Discourse الذي تغلغل في أثناء الشبكة الدلاليّة لمصطلح الخطاب العربيّ، وقوّضه أو كاد بحجَّة تحديث دلالة المصطلح من جهة، وما تقتضيه الثقافة الحديثة من جهة أخرى[٢] .

ثم بعد ذلك طرأ على مفهوم الخطاب تحوّل إبستمولوجيّ ليصير نظاماً وشرط وجود ((إنّ الخطاب لم يعد طريقة للتعبير أو حديثاً متساوقاً، أو مجموعة عمليات فكرية مترابطة، أو تحليلاً لذات واعية، تتأمل وتعرف وتعبر، إنما أصبح إمكاناً وشرط وجود ونظاماً. أصبح حقلاً تتمفصل فيه الذوات، ومجموعة علاقات تجد فيها مرتكزاً له. وهذا التحول الإبستيمولوجي في تناول أقاويل البشر يعتبر رائده المفكر الفرنسي ميشال فوكو))[٣] .

---

(١) ينظر: اللسانيات والدلالة "الكلمة"، منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط١،١٩٩٦م، ٧.

(٢) ينظر: الثقافة العربية الحديثة والمرجعيات المستعارة، عبد الله إبراهيم،١٠٢.

(٣) الموسوعة الفلسفية العربية، علي حرب، معهد الإنماء العربي، ط١، ١٩٨٦م، مج١، مادة مقال.

ثانياً: أركان الخطاب وأسسه الفنية:

يقوم الخطاب القرآنيّ على التنوع الذي تنتجه مراعاة المقام، ويفرضه السياق في وحدةٍ كليّةٍ تسند بناها الصغرى البنية العامة، والنظامَ العام للخطاب برمته، سواء أكان على مستوى خطاب السورة الواحدة أم على مستوى الخطاب القرآنيّ عامةً. وهذا ما ذكره السيوطي عن هذا التنوع تجد الخطاب بالنبي في محل لا يليق بهِ، وكذلك العكس، كقوله في التشريع العام **(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ)**[المائدة:٦٧-٥]، وفي مقام الخاصّ: **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ)**[سورة التحريم:١]، وقد يعبّر بالنبيّ في مقام التشريع العام، لكن مع قرينة إرادة التعميم كقوله:**(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ)**[سورة الطلاق:١]، ولم يقل طلقت[1].

ومن التنوع في الخطاب القرآنيّ كذلك ما يختصّ به الخطاب القرآنيّ من توجيه الخطاب إلى شيء وإرادة غيره أو إرادته مع غيره فالأول؛ أي إرادة غيره **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ)** [الأحزاب: ٣٣]، الخطاب له والمراد أمته لأنّه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان تقيّاً وحاشاه من طاعة الكفار، والثاني؛ أي إرادته مع غيره، ففيه أوجه: اذ يخاطب الجمع بلفظ الواحد **(يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ)**[سورة الانفطار: ٦]، فإنّ الكلام موجه إلى الناس كافة، أو يخاطب الواحد بلفظ الجمع: **(يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً)**[سورة

(١)ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، عبد الرحمن بن أي بكر جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ، ج١، ١٧٢.

المؤمنون:٥١]،فهو خطاب له وحده إذ لا نبي معه ولا بعده، وفيه أيضاً خطاب الواحد بلفظ الاثنين نحو: (أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ) [سورة ق: ٢٤]، والخطاب لمالك خازن النار وقيل لخزنة النار، وخطاب الاثنين بلفظ الواحد كقوله: (قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى) [سورة طه: ٤٩] (١) .

وممّا يقوم عليه الخطاب القرآنيّ أيضاً البلاغة والجمال فجمال النظم القرآني يغدو ركناً من أركانه وبعضاً متسقاً في بنيته وكنهه.

ولهذا يرتبط جمال النظم القرآنيّ بمجموعة وجوه تتسم بالدقَّة والعمق، وتدلّ على ترابط جزيئات الموضوع في ذهنه، منها ما يرجع إلى الجملة، ومنها ما يرجع إلى الفصاحة، ومنها ما يرجع إلى النظم واستوائه وحسن رصفه، ومنها ما يرجع إلى غزارة المعاني، ومنها ما يرجع إلى تأثير الكلمة في الأسماع(٢) .

ويتماهى الجمال على مستوى اللغة مع جمال المضمون وتفرّد المحتوى ولاشكّ البتة أنّ القرآن عجيب في نظمه، وبديع في تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها من ذكر قصص ومواعظ واحتجاج، وحكم، وأحكام، وإعذار وإنذار، ووعد ووعيد، وتبشير وتخويف، وأوصاف، وتعليم وأخلاق كريمة، وشيم رفيعة، وسير مأثورة، وغير ذلك من الوجوه على حدٍّ واحد، في

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي،تحقيق- محمد أبو الفضل إبراهيم،الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)،١٣٩٤ هـ، ٣/ ١١٠-١١١.
(٢) ينظر: أبو بكر الباقلاني ومفهومه للإعجاز القرآني، أحمد جمال العمري ،الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط٩، العدد الثالث، ١٩٦٣م، ١٨.

حسن النظم، وبديع التأليف والرصف، لا تفاوت فيه ولا انحطاط عن المنزلة العليا، ولا إسفاف فيه إلى الرتبة الدنيا[١] .

ثالثاً: مفهوم الخطاب القرآني ومراتبهُ :

إن الخطاب القرآني الذي هو كلام الله عزّ وجلّ في كتابه العزيز، قد تعددت النظريات حول مراتبه وتباينت. فمنها ما التزم بظاهر الخطاب رافضاً البتة التأويل، جاعلاً آيات القرآن كلّها بمرتبة واحدة، وهذا ما اطلق عليه نظرية احادية البعد لفظاً ومعنىً:

وهي نظرية تخلص إلى أنّ آيات القرآن الكريم تتمتع بمرتبة واحدة وبعد واحد في الخطاب سواء أكان ذلك على مستوى اللغة أم مستوى المعنى.

بيد إنّ جماعة كبيرة من السلف كانوا يثبتون لله تعالى صفات أزلية من العلم وغيره ، ولا يفرّقون بين صفات الذات وصفات الفعل؛ بل يسوقون الكلام سوقاً واحداً، وكذلك يثبتون صفات خبريّة مثل اليدين والوجه، ولا يؤولون ذلك، وحكى الأشعري عن محمد بن عيسى أنّه حكى عن مضر وأحمد الهجيمي أنّهم أجازوا على ربّهم الملامسة والمصافحة، وأنّ المسلمين المخلصين يعانقونه[٢].

و في هذه النظرية ينفى المجاز عن القرآن الكريم لعلّة الاشتباه والالتباس المنزّه عنهما الله سبحانه. وقد ((كان داود الظاهري ينفي المجاز ويرى أنه يوجب الاشتباه؛ ولذا فهو لا يصدر من الله. كما

(١) ينظر: أبو بكر الباقلاني ومفهومه للإعجاز القرآني ، ٣٦-٣٧.
(٢)ينظر: الملل والنحل، الإمام أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، صححه وعلق عليه- أحمد فهمي محمد،دار الكتب العلمية،بيروت،٩٢/١-٩٣.

كان يعتقد أنّه لو كان في القرآن مجاز لأمكن أن يوصف الله بالصفة المجازية، وهذا غير ممكن))[١] .

وفي هذه النظرية إلى جانب نفي المجاز يجري أيضاً الامتناع عن التأويل.

إذ يعتقد بعض أصحاب هذه النظرية أنّه لامجال لأيّ تأويل في المفاهيم التي ترتبط بالإلهيّات، وإن أدى ذلك إلى التشبيه والتجسيم لذات الله أو سائر اللوازم الأخرى وقد نقلوا عن مالك بن أنس أنه حين سئل عن الاستواء على العرش قال: الاستواء معلوم، والكيفيّة مجهولة، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة[٢] .

وفي هذه النظرية يحوز الحديث الشريف على المركزيّة و المحورية إذ لا يجوز لأحد –بحسب معتنقي هذه النظرية– تفسير شيء من القرآن، وإن كان عالماً أديباً متسعاً في معرفة الأدلَّة، والفقه والنحو، والأخبار والآثار، وإنّما له أن ينتهي إلى ما روي عن النبي (صل الله عليه وآله وسلم) ،وعن الذين شهدوا التنزيل من الصحابة رضي الله عنهم، أو عن الذين أخذوا عنهم من التابعين[٣].

في مقابل النظرية الأحادية البعد هذه تقف طائفة من العلماء على الطرف النقيض، و في الضفة المقابلة يعترفون بالمجاز وفضله ومزاياه وجوازه في القرآن، داعمين فكرة اللغة الباطنيّة لكلام الله عزّ وجلّ، معتنقين نظرية سميت نظرية علماء المسلمين

(١)المعتمد في أصول الفقه، أبي الحسين محمد بن علي بن الطيب البصري، تح- محمد حميد الله، ، المعهد الفرنسي، دمشق(د.ط)، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، ٢٥/١.
(٢)ينظر: الملل والنحل، ٩٣/١.
(٣)ينظر : التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي ،مكتبة وهبه،القاهرة،ط٧، ٢٥٦/١.

تتقابل النظرية السابقة مع كثير من علماء المسلمين، سواء من الأدباء أو علماء البلاغة أو المفسرين أو الأصوليين أو الفقهاء. يعتقد هؤلاء أنّ القرآن من الناحية اللغوية قد نزل باللغة العربية الفصيحة وأنَّ فيه أنحاء من المجاز، والكناية، والاستعارة، والتمثيل(١)

يقول عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) قد أجمع العلماء على أنّ الكناية أبلغ من الإفصاح، والتعريض أوقع من التصريح، وأنّ للاستعارة مزية وفضلاً، وأنّ المجاز أبداً أبلغ من الحقيقة(٢) .

ويرى الرمَّاني (ت٣٨٦هـ) في تفسير قوله تعالى :((الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ))[ابراهيم :١] كلّ ما جاء في القرآن من الظلمات إلى النور فهو مستعار، وحقيقته من الجهل إلى العلم، والاستعارة أبلغ لما فيه من البيان بالإخراج إلى ما تدركه الأبصار(٣).

ومع جواز المجاز والتأويل تنهض لغة مقابل اللغة الظاهرة وسرّ يكمن خلف السطور ويستتر بسجف الألفاظ ، مع هذه النظرية الباطنيّة يقين، وبناء على بعض آراء الباطنيين فإنّ لغة القرآن هي لغة باطنيّة بالكامل، ولغة تتجه من الظاهر إلى الباطن، والغرض الأصليّ، والمعنى الجوهريّ هو الحقيقة المخفيّة وراء الألفاظ، أما الألفاظ فهي مجرد قشور. وقد ورد في رسائل إخوان الصفا أنَّ ((أكثر كلام الله تعالى، وكلام أنبيائه، وأقاويل الحكماء رموز لسرّ من

(١)ينظر: المجاز في اللغة والقرآن الكريم بين الإجازة والمنع، عبد العظيم المطعني ،مكتبة وهبة، ط٢، ١٤١٤هـ، ٥٠٥/١.
(٢)ينظر أسرار البلاغة،٤٢.
(٣)ينظر النكت في إعجاز، ٩٣.

الأسرار مخفي عن الأشرار، وما يعلمها إلّا الله تعالى والراسخون في العلم، وذلك أنّ القلوب والخواطر ما كانت تحمل فهم معاني ذلك))[١]

وفي المعنى ذاته يصبّ ما يقوله ناصر خسرو عن رمزيّة لغة الشريعة : إنّ الشريعة الناطقة هي رموز وأمثال كلّها، وكلّ من لم ير ما فيها من معان، وإشارات رموزاً فسوف لن يدرك منها شيئاً[٢].

رابعاً: أقسام الخطاب القرآني :

يشتمل أي خطاب على عناصر الاتصال الرئيسية (مرسل – رسالة –مرسل إليه) أو (باث – رسالة – متلق).والأمر عينه ينطبق على الخطاب القرآنيّ؛ ففيه المرسل أو الباث والرسالة والمرسل إليه أو المتلقي.

إذن فالخطاب القرآنيّ يتضمن عناصر التواصل، وهذا يترتّب عليه وجود دلالات(دلالة الكلام على منشئه، ودلالة الكلام على ذاته، ودلالة الكلام على متلقيه)[٣] .

المتكلم أو المرسل في الخطاب القرآنيّ هو الله سبحانه ((وهو المطلق، وهو الكامل، وخطابه يكون على مثاله، فهو تامّ لغة، ومطلق دلالة، وإنّه ليكون من أجل هذا، دائم التحقق كلاماً في انتسابه إلى قائله.. ودائم التعيين دلالة في الإحالة إليه))[٤].

ولأنّ المرسل أو المتكلم هنا هو خاصّ، ولامثيل له كان خطابه على مثاله خاصّاً ومتفرّداً، لامثيل له يحوز قصب السبق في الفصاحة

(١)رسائل إخوان الصفا، إخوان الصفا، دار صادر،بيروت، (د.ط) ، (د.ت)،٣٤٢/٢.
(٢) ينظر: وجه الدين، ناصر خسرو ، مركز تحقيقات الإسلامي، أصفهان، د.ط ، (د.ت)،١٨٠.
(٣) القرآن وعلم القراءة، جاك بيرك، ترجمة وقراءة-د. منذر عياشي، تقديم- د. محمد عكام ، دار التنوير، بيروت، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط١، ١٩٩٦م، ٢١.
(٤) القرآن وعلم القراءة:٢١-٢٢.

والبلاغة لفظاً وشرف المعنى ((ولذلك شاءت حكمة الله تعالى أن تكون لغة القرآن رغم صلتها بلغة الشعر الجاهلي، لغة فيها كثير من التطور والتخصص في أداء المعاني، وهذا يفسر الدهشة والحيرة التي كانت تنتاب الناس عند سماعهم آيات القرآن الكريم لأول مرَّة، رغم أنّه نزل بالحرف والكلمات التي كانوا يتحدثون بها، بل والذين كانوا بها أرباب الفصاحة والبيان))[١] .

والرسالة هنا هي القرآن الكريم التي ينطوي فيها خطاب الباث أو المتكلم وهو الله سبحانه.

أمّا المتلقي المقصود في هذا الخطاب فهم البشر عامة ولذلك ((فقد أعطى الله البشر من العقل ما يتدبرون به دلائل الإيمان في الأنفس والآفاق))[٢] .

يندرج الخطاب القرآني تحت بنود عدّة حريّ بنا معرفتها، فقد أنزل القرآن على ثلاثين نحواً كل نحو منه غير صاحبه، فمن عرف وجوهها ثمّ تكلم في الدين أصاب ووفّق، ومن لم يعرفها وتكلّم في الدين كان الخطأ إليه أقرب، وهي: المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والتقديم والتأخير، والمقطوع والموصول، والسبب والإضمار، والخاص والعام، والأمر والنهي، والوعد والوعيد، والحدود والأحكام، والخبر والاستفهام، والأبهة والحروف الصرفة، والإعذار والإنذار، والحدة والاحتجاج، والمواعظ والأمثال، والقسم[٣] .

---

(١) التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن دراسة دلالية مقارنة، عودة خليل أبو عودة، الأردن، (د.ط)، ١٩٨٥م،٤٩.
(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب ،دار الشروق، ط١١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، مج٢،٨٠٥.
(٣) ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، ١٧٢.

تتعدد أوجه الخطاب القرآنيّ بحسب المخاطب وطبيعة الموقف، فهناك خطاب التهكّم (**ذق إنك أنت العزيز الكريم**) [سورة الدخان: ٤٩]. وخطاب الكرامة(يا أيّها النبي) (يا أيّها الرسول). وخطاب التحبّب(يا أبتِ لِمَ تعبد الشيطان). وخطاب التعجيز (فأتوا بسورة).وهناك خطاب الجنس البشريّ(يا أيها الناس)، وخطاب النوع(يا بني إسرائيل)، وخطاب العين(يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة).والخطاب العام المراد به الخصوص، والخاص المراد به العام. وخطاب الإهانة(فإنّك رجيم)،وتعدّد الخطاب واضح الدلالة على تحقيق المراد والتأثير في المخاطب، ولا يتصور أنْ يكون الخطاب القرآنيّ عاماً موحداً، فليس هذا من الفصاحة(١) .

خامساً: أهداف الخطاب القرآني :

ولعلّ أبرزها في الخطاب القرآنيّ هو الإقناع؛ فالمتلقي بات بؤرة هذا الخطاب، ووجهته، وغايته الأسمى اجتذابه، وإثارة انتباهه، و من ثمّ إقناعه ليسلّم بعد ما يبسط أمامه من رسائل تنفكّ شفراتها الدلاليّة، وتنبثق منها أدلّة وحجج، ومواعظ، وحكم، وآيات بيّنات كلها تصبّ في بودقة الإقناع.

لقد نزل الخطاب القرآنيّ من المتلقي منزلة حضوريّة فاعلة، وذلك لأنّه خصّ المتلقي بعناية بعيدة عن روح الاستدراج، لقد واجهت الآيات روح المتلقي وعقله، وضميره، وخاطبته من نقطة قريبة من مداركه، وحملته إلى عقيدتها التوحيدية بتوظيف المقول الفكريّ والشعوريّ الذي لا يمكن للعقل أن يغمز في جوهريّته، فالدعوة القرآنيّة

(١) ينظر: المدخل إلى علوم القرآن الكريم، محمد فاروق النبهان، دار عالم القرآن،حلب، ط١،١٤٢٦هـ، ٢٧٤.

لا تخاتل في تقديم حججها ، ولا تماري في بسطها، ولكنها توظّف الحوار الفكريّ في الرهان على منطقيّتها، وتؤصّل مقولتها بأسباب الإقناع[١] .

إذاً فالمتلقي في الخطاب القرآنيّ هو الهدف الأهمّ، وهو غاية الغاية لهذا الخطاب عامة، إذ يسعى الخطاب إلى ضمّ المتلقي إلى بوتقة التواصل اللسانيّ لتتكامل عناصر الاتصال وتتحقق وظائفه، وغاياته المنشودة.

فالقرآن ((يضع نفسه في قلب التواصل اللسانيّ، ولذا نجده يحتوي بالإضافة إلى نفسه عنصراً آخر لا يتم التواصل اللسانيّ إلّا به، ولا يكون بلاغاً إلا بوجوده هذا العنصر هو المتلقي وهو عنصر متضمن في الخطاب نفسه، ويؤدّي دوراً يكون تحيين الخطاب فيه وتعيينه الدلاليّ على مثاله))[٢] .

فالتلقي والحال هذا لم يعد ساكناً منفعلاً بل ذاتاً واعيةً، مدركةً، مقصودةً بذاتها، ولذاتها، ولم يعد ((حالة سكونيّة استيعابيّة انقياديّة، بل غدا وعياً حيويّاً، يتجاوز الحرفيّة ويطوّقها، ويناقضها، ويلغيها لينشيء رسالة وليدة مؤسسة على تلاقح تجاوز ثنائيّة الباث التلقي ليضحى التواجه الحسيّ رباعياً: باث – رسالة، متلق– رسالة))[٣] .

ومن أهداف الخطاب القرآنيّ بالطبع الهداية والتوحيد، فما هذا الاهتمام كلّه بالمتلقي، والقصديّة في توجيه الخطاب إليه، وجذبه،

(١) ينظر: الخطاب القرآني (مقارنة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي)، سليمان عشراتي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (د.ط)، ١٩٩٨م،٦.
(٢)القرآن وعلم القراءة،١٠٣.
(٣)اتجاهات تلقي الشعر في النقد العربي المعاصر، لطفية إبراهيم برهم، مجلة علامات في النقد ، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، مج٩، ٢٧٩/٣.

والاستحواذ على انتباهه بغية إقناعه؛ ما هذا كلّه إلّا تفرّع لغاية أسمى هي الهداية والتوحيد.

ولذلك نجد أنّ المعاني وإن تفرّعت وتشعّبت وتنوّعت إنما تصبّ في هذه الغاية. إذ تتنوع في السورة الواحدة قصص وأخبار وأفعال وأقوال ثمّ تردّ هذه البنيات الجزئيّة جميعاً إلى بنية كبرى وتصبّ جميعاً في بؤرةٍ دلاليّةٍ واحدة تعود إليها جميع الآيات والسور والخطاب القرآنيّ عامّةً وهي التوحيد.

ونجد في النص القرآنيّ أنّ المعنى ليتعدد في بنائِه نموذج بتعدّد النصوص المتداخلة في إطار السورة الواحدة (قصة الخلق، وقصص الأنبياء، وأفعال الرسول،وأفعال الصحابة، وأخبار القرون البائدة .....الخ كما أنّه على العكس من ذلك يرتد إلى بؤرة دلاليّة واحدة في إطار السور المتعددة هي بؤرة التوحيد[١] .

وهكذا نجد أنّ الخطاب القرآنيّ كأيّ خطابٍ آخر إنّما غايته المتلقي أو المرسل إليه، إذ يسعى إلى الاستحواذ على انتباهه، وإقناعه وإتمام العمليّة الاتصاليّة و التواصليّة، غير أنّ قناة الاتصال هنا تفرّدت وميّزها خصوصيّة المتكلّم وهو الله سبحانه، وخصوصيّة الغاية وهي الهداية والتوحيد.

سادساً: بنية الخطاب وعلاقته بالنص:

إنّ النصّ في اللسانيّات قيمة إنتاجيّة، والوظيفة التواصليّة هي الأبرز في وظائف اللغة من وجهة نظر لسانيّة، فالنصّ: ((جهاز عبر لسانيّ، يعيد توزيع نظام اللسان بواسطة الربط بين كلام تواصليّ

(١) ينظر: القرآن وعلم القراءة، ١٥-١٦.

يهدف إلى الإخبار المباشر وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه أو المتزامنة معه))[١] .

أما الخطاب حسب بنيفيست فيشمل الملفوظ الذي يقوم على أساس وجود متكلم ومتلق يتوجان العمليّة التواصليّة ودائماً للمتكلم يخاطب المتلقي بغية التأثير عليه. ويرى بنيفست أنّ الخطاب هو((الملفوظ منظوراً إليه من وجهة آليّات وعمليّات اشتغاله في التواصل.. وهو كلّ تلفّظ يفترض متكلّماً ومستمعاً، وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما))[٢] .

صحيحٌ أنّ النصّ والخطاب يتداخلان ويتعالقان إلّا ((أنّ النصّ أكثر من مجرد خطاب أو قول، إذ إنّه موضوع لعديد من الممارسات السيميولوجيّة التي يعتدّ بها على أساس أنّها ظاهرة عبر لغوية بمعنى أنّها مكوّنة بفضل اللغة، لكنّها غير قابلة للانحصار في مقولاتها))[٣].

والخطاب هو أحد فروع تنوع الكلام(النص) من حال إلى حال ويقصد بذلك : التكلم،والخطاب،والغيبة، ويعتمد القرآن الكريم على أسلوب الالتفات الذي هو الانتقال من أسلوب إلى آخر، أي من التكلّم أو الخطاب أو الغيبة إلى آخر منها بعد التعبير بالأول، تطرية الكلام، وصيانة السمع عن الضجر والملل، لما جبلت عليه النفوس من حبِّ

(١) علم النص، جوليا كريستيفا، ترجمة-فريد الزاهي، مراجعة- عبد الجليل ناظم ، دار توبقال للنشر،المغرب، ط٢،١٩٩٧م،٢١.
(٢) تحليل الخطاب الروائي، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-بيروت،ط٣، ١٩٩٧م،١٩.
(٣) بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل ،مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط١،١٩٩٦م،٢٩٤.

التـــنقلات، والســـآمة مـــن الاســـتمرار علـــى منـــوال واحـــد، هـــذه فائدتـــه العامة، ويختص كلّ موضع بنكت، ولطائف باختلاف محله[١] .

فـــي الحقيقـــة إنّ مـــا نعنيـــه ببنيـــة الخطـــاب هـــو النظـــام أو التنظـــيم الـــداخليّ لـــنصٍ مـــا؛ فالبنيـــة هـــي التنظـــيم الـــداخليّ للـــنصّ المبـــرز للخطـــاب الـــذي يكشـــف عـــن طبيعـــة العلاقـــات، والتفـــاعلات القائمـــة بـــين وحداتـــه. وتنقســـم إلـــى بنيـــة كبـــرى وبنيـــة صـــغرى، والمقصـــود مـــن البنيـــة فـــي الحـــديث عـــن طبيعـــة الخطـــاب هـــو البنيـــة الكبـــرى دون الصـــغرى، وهـــي تمثيـــل تجريـــديّ للدلالـــة الشـــاملة للخطـــاب، ويطلـــق عليهـــا منطـــق الخطـــاب أيضـــاً. البنيـــة الكبرى ذات طبيعة دلاليّة وترتبط بموضوع الخطاب الكليّ[٢] .

إنَّ بنيـــة الخطـــاب القرآنـــيّ كمـــا نعلـــم هـــي بنيـــة قصصـــيّة وعقلانيّـــة. فإنّنـــا نقابـــل كثيـــراً مـــن نمـــاذج القصـــة فـــي القـــرآن الكـــريم ومقوماتهـــا وعناصـــرها مـــن شخصـــيّات وأحـــداث وزمـــان ومكـــان والحبكـــة ، وكلّهـــا تخـــدم طبيعـــة المواضـــيع المطروحـــة وتمـــدّها بالتشـــويق والإثـــارة وتغـــدو حاملـــة للمعنـــى و الفكـــرة المـــراد إيصـــالها فـــلا شـــكّ أنهـــا مـــن أبـــرع الطـــرق وأيســـر المســـالك إلـــى ذهـــن المتلقـــي وعاطفتـــه. فالقصـــة كمـــا نعلـــم طريقـــة لطيفـــة وفريـــدة فـــي التعبيـــر، تحمـــل العبـــرة وتخـــدم الغايـــة وتوصـــل الفكـــرة دون أن تفقـــد عنصر الإثارة.

وهـــذه البنـــى القصصـــية والعقليّـــة تتنـــوع محمولاتهـــا فـــي طبيعـــة الموضـــوعات. (تشـــريع ،أحكـــام، قـــيم، مـــواعظ، قصـــص، ترغيـــب، ترهيب..الخ).

(١) ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن،٢٦٨/١.
(٢) ينظر: المرجع السابق،ص٢٥٦ وما بعدها.

وفي الحقيقة إن القرآن الكريم كلام فني مقصود في دلالته، وُضِع وضعاً دقيقاً ونسج نسجاً محكماً فريداً لايشابهه كلام،ولايرقى إليه حديث(فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ) [الطور ٣٤] (١) .

سابعاً : الفرق بين الخطاب الإلهيّ والخطاب البشريّ:

لعلّ الفرق الأبرز بين الخطابين هو مصدره أو المرسل فمع خصوصيّة الخطاب الإلهيّ لابدّ للخطاب البشريّ مهما علت مكانته وشرف معناه وتميّز ولمع أن يخبو وينـدثر أمام عظمة النصّ أو الخطاب القرآنيّ.

ومن الفروق يمكن أن نذكر أنّ القرآن الكريم لبداهة أنّ مصدره الله سبحانه قد جلّ عن الوهن والفتور والاختلال الذي يورثه الطول والإسهاب فيما حافظ الخطاب القرآنيّ على ترابطه وقوته وتعاضد إحالاته بعضها إلى بعض.

والحقّ أنّه ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة، والغرابة، والتصرف البديع، والمعاني اللطيفة، والفوائد الغزيرة، والأحكام الكثيرة، والتناسب في البلاغة، والتشابه في البراعة، على هذا الطول، وعلى هذا القدر. وإنّما تنسب إلى حكيمهم كلمات معدودة وألفاظ قليلة، وإلى شاعرهم قصائد محصورة، يقع فيها ما نبينه بعد هذا من الاختلال، ويعترضها مانكشفه من الاختلاف، ويشملها مانبديه من التعمل،

(١)ينظر: لمسات بيانية في نصوص التنزيل، فاضل السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع،عمان-الأردن، ط٣، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م،٩.

والتكلف، والتجوز، والتعسف. أخبر سبحانه أنّ كلام الآدمي إن امتد وقع فيه التفاوت، وبان عليه الاختلاف(١).

ومع الطول والامتداد يغدو الحفاظ على الفصاحة والبلاغة في الخطاب البشريّ أمراً مستحيلاً فيما استمرّ القرآن الكريم يبهرنا بآيه على طول سوره.

إنَّ وجه الإعجاز في القرآن من حيث استمرّت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحائها في جميعه استمراراً لا يوجد له فترة، ولا يقدر عليه أحد من البشر، وكلام العرب، ومن تكلّم بلغتهم لا تستمرّ الفصاحة والبلاغة من جميع أنحائها في العالي منه إلّا في الشيء اليسير المعدود، ثم تعرض الفترات الإنسانية، فينقطع طيب الكلام ورونقه، فلا تستمر لذلك الفصاحة في جميعه؛ بل توجد في تفاريق وأجزاء منه(٢) .

أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادي آيه ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقعها، وفي مضرب كلّ مثل، ومساق كلّ خبر، وصورة كلّ عظة، وتنبيه وإعلام، وترغيب وترهيب، ومع كلّ حجَّة وبرهان، وصفة وبيان، وبهرهم أنّهم تأملوه سورة سورة، وعشراً عشراً، وآية آية فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة ينكر شأنها، أو يرى أنّ غيرها أصلح هناك أو أشبه، أو أحرى وأخلق، بل وجدوا اتساقاً بهر العقول، وأعجز الجمهور ونظاماً والتئاماً، وإتقاناً وإحكاماً،

(١) ينظر: إعجاز القرآن، ٣٦.
(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن،١٠.

لم يدع في نفس بليغ منهم موضع طمع، حتى خرست الألسن عن أنْ تدعي وتقول، وخلدت القروم، فلم تملك أن تصول[١] .

الفرق الأهمّ إذاً بين الخطابين الإلهيّ والبشريّ يكمن في الإعجاز والقبض على ناصية الزمن. فأنّى لبشرٍ أن يأتي بمثل هذا الكتاب البديع في آيه المعجز في بيانه ويحافظ على قيمته ومكانته ويتحدى الزمان والمكان.

وأيّ عظمة تعدل عظمة العجز عن معارضة نظم القرآن وأسلوبه على مدى أربعة عشر قرناً من الزمان وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وحسب القرآن من العظمة أنّه المعجزة الباقية على مدى الدهر؛ حيث اندثرت معجزات الرسل السابقين جميعاً بعد أداء وظيفتها في إقامة الدليل على صدق أولئك الرسل. وحسبه كذلك من العظمة أنَّه يتصل بالحياة ما بقيت الحياة، فيه حياة القلوب بالإيمان، وبه حياة الإيمان بالجهاد، وبه قيام الجهاد بمنهجه الأمثل في تربية إنسان الحضارة الأمثل، وبهذا الإنسان الموصول بالقرآن تنبض الحياة بالعدل، وبه يدبر الظلم والإلحاد، وما كانت معجزات الرسل السابقين كذلك؛ فقد كانت كلّها إمّا متصلة بحياة جسد، أو متحدية وهم السحر، أو حجَّة على قومٍ بعينهم مردوا على الكفر، فهلكوا بعدها بوسيلة تدمير غيبية، وما ذلك إلا معجزة القرآن التي بقيت لتحقق مزيداً من الاتساع في قاعدة الإيمان على مدى الزمان[٢] .

---

(١) ينظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الجرجاني، تحقيق- ياسين الأيوبي ،المكتبة العصرية-الدار النموذجية بيروت ، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م،٣٢.

(٢) ينظر: أسرار ترتيب القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، (د.ط)(د.ت)،٢٣-٢٤.

والفرق بين الخطاب الإلهيّ والبشريّ يكمن أيضاً في نقطة مركزيّة وهي أنّ القرآن خالف موازين أرباب الفصاحة وهم العرب في الشعر فما هو بشعر ولكنّه موشّى بالبيان وبديعه وخالف قوانينهم في النثر أيضاً إذ رأوا فيه نثراً من نوع خاصّ لم يعهدوه من قبل.

إن أسلوب القرآن يجري على نسق بديع، ولذلك حار العرب في أمره إذ عرضوه على موازين الشعر، فوجدوه غير خاضع لأحكامه، وقارنوه بفنون النثر فوجدوه غير لاحق بالمعهود من طرائقه فكان انتهى الكافرون منهم إلى أنّه السحر، واستيقن المنصفون منهم بأنّه تنزيل من ربّ العالمين[1] .

وبذلك نجد أنّ الفروق الأساسيّة بين الخطابين الإلهيّ والبشريّ تكمن في مخالفة القرآن لقوانين العرب شعراً ونثراً، وفي محافظتهِ على البلاغة والفصاحة رغم طوله، وفي إعجازه وصلاحيّته لكلّ زمان ومكان.

(١)ينظر: من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل،م حمد سعيد رمضان البوطي، مؤسسة الرسالة، بيروت (د.ط))، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م،١١٢.

الفصل الأول

الأداء البيانيّ في بلاغة خطاب الجنة والنار

توطئة :

يرتكز الخطاب القرآنيّ على ألوان البيان الموظّفة توظيفاً استراتيجيّاً بشكل يمنح الخطاب فضلا عن خصوصيّته تميّزاً مضاعفاً ، وكما نعلم فقد تحدّى التنزيل العرب بأفضل ماعندهم، وأكثر مايجيدونه، ويبرعون به وأعني بيانهم و بلاغتهم وفصاحتهم وفي هذا المقام ((يصحُّ لنا تحديد التراث الإنساني للعرب بالبيان، فالبيان كلّ شيء في حياتهم، وكلّ شيء بعد مماتهم، به يتبارون وعليه يثيبون، وفيه يتمايزون. وهبط القرآن الكريم بين ظهرانيهم فكان ثروة بيانيّة لا تنفد، ومعيناً بلاغيّاً لا ينضب))[1].

وقد شغلَ القرآنُ الكريمُ المسلمين منذ نزولِه وإلى الآن، وأغنى حياتهم الثقافيّة؛ بالدراسات التي تناولته بالتفسير، والشرح، وتلك التي تعرّضت لبلاغته وفنونه البيانية ، وفصاحته وعلى أثر ذلك قامت علوم بأكملها كعلم النحو وغيره ،عبر تنظيمها، وتقنينها سعياً لترجمة الخطاب القرآني على أرض الواقع، وإقامة مجتمع وفق التوجة الإسلاميّ .

(١) أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم، د.محمد حسين علي الصّغير، دار المؤرخ العربي،بيروت-لبنان، ط١، ١٩٩٩، ١١.

وفي هذا الفصل سنحاول تتبّع الأداء البيانيّ في بلاغة خطاب الجنَّة والنَّار، عبر اقتفاء أثر البنى التشبيهيّة، والاستعاريّة، والكنائيّة، والمجازيّة، ودراستها وتحليلها، وبيان جماليّاتها، وما أدّته من وظائف فنيّة ودينيّة .

ونهدف من ذلك إلى تسليط الضوء على هذه البنى، ودراسة أدائِها البيانيّ، وتوضيح آليّة عملها، ودورها في إثراء المعنى، وكيفيّة توظيفها في خطاب الجنة والنار في ضوء المنهج الوصفيّ التحليليّ.

المبحث الأول : البنية التشبيهيّة

التشبيه لغةً:

جاء في لسان العرب: ((الشِّبه والشَّبَه والشَّبيه: المِثلُ، وأشبهَ الشيءُ الشيءَ: ماثَلَهُ، ويُقال: شبّهتُ هذا بهذا، وأشبهَ فلان فلاناً. والشِّبْهُ والشَّبَه: النحاس يصبغ فيصفرّ، وسمّيَ النحاسُ به لأنّه إذا فعلَ به أشبهَ الذهبَ بلونهِ، والتشبيهُ مصدرٌ من شبّهَ)) [١] .

إذا فالتشبيه في اللغة هو التمثيل.

أمّا اصطلاحاً: فإنه الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى أو أكثر بأداة ملفوظة أو مضمرة[٢] ، وقد تعدد مفهوم التشبيه لدى العلماء إلاَّ أنهم لم يبتعدوا عن دلالة واحدة

فأبن رشيق القيرواني يعرّف التشبيه أنّه: ((وصف الشيء بما يقاربه و يشاكله))[٣].

(١) لسان العرب، مادة شبه،٣/ ٥٠٤-٥٠٥.
(٢) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، ٦/٣.
(٣) العمدة في صناعة الشعر ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: د.النبوي عبد الواحد شعلان مكتبة الخانجي، القاهرة،ط١،٢٠٠٠- ١٤٢٠هـ ،١٩٤.

إنّ من أبرز أساليب البيان وأجملها التشبيه، ويعود ذلك الى ما يحمله من ميزات فهو يضفي على الصورة الموظف فيها طاقة تعبيرية وتأثيرية، وقوة في الأداء تؤطّر بجماليّة ترخي سدولها على المعنى، فتضاعف التأثير وتؤدّي الصورة حينئذ وظيفتها المنوطة بها.

ويحتلّ التشبيه بأنواعه مساحةً واسعة في القرآن الكريم، وما يهمّنا في هذا المقام، التشبيه الموظّف في خطاب الجنّة والنار وهو ما سنناقشه على مدار البحث.

لنتأمل معاً قوله عزّ وجل: (**وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ**)،[آل عمران:١٠].

في التشبيه البليغ (هم وقود النَّار) يشبّه عزّ وجل الذين كفروا، وهم طرف التشبيه الأول(المشَّبه) بوقود النَّار وهو الطرف الثاني(المشبه به). يقوّي التشبيه البليغ الدلالة المقصودة، فيوحّد التنزيل بين طرفيّ التشبيه على وجه الحقيقة. يدعم المعنى غياب أيّ فاصل لغويّ كأداة التشبيه، والتأكيد عبر العلاقة الإسناديّة على بداهة الحكم بأنّ المشبّه هو عينه المشبه به؛ فهم وقود النَّار. ولا يخفى ما للصورة من عظيم الأثر في نفس المتلقي، وذلك لركنها الحسيّ الذي نقل الصورة عبر تقنيّتها الحسيّة، بشقيها البصريّ والسمعيّ، إضافة إلى اللمس. ويشعر المتلقي أن ألسنة اللهب تلفح وجهك، وللمعذّبين صراخاً مهولاً، وترى كيف يطعمون النار من أجسادهم، فتعلو قامتها، ويشتدّ أوارها. كلّ هذا يؤدّي مهمّة الصورة في تنفير القارئ، وتحذيره من مصيره المحتوم إنْ عصا كلمة الله سبحانه، وكفر بنعمته.

وهنا تكمن قيمة التشبيه، ووظيفته الفنيّة والدينيّة، إذ حقّق جماليّته عبر عنصر التخييل، واستحضار مشهد مألوف ومعتاد، وهو إشعال

النَّار، وتزويدها بالوقود لتتقد وتستعر لغايات بشريّة كالتدفئة والطهو الخ. يأتي المشهد هنا مزوّداً بعنصر جديد يضفي على المعنى الرهبة، ويقذف الرعب والخشية في النفس، وذلك حين تتخيل أنَّ وقود النار هنا هم البشر أنفسهم. وهذا أدعى للتأثير، ولتثبيت المعنى، وتحقيق الانفعاليّة المطلوبة . ومن المعلوم أنّ التشبيه هو أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة تشبيه، ناب منابه أو لم ينب. ويصحّ تشبيه الشيء بالشيء جملة، وإن شابهه من وجه واحد[١] ، والتشبيه هو الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى[٢]، من هنا نلمس أهميّة توظيف التشبيه في الآيات لغرض الجمع بين طرفي التشبيه في الحكم ممَّا يقوّي المعنى المراد تثبيته في ذهن المخيلة.

اذ ((إنّك إذا مثّلت الشيء بالشيء فإنّما تقصد به إثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به أو بمعناه، وذلك أوكد في طريق الترغيب فيه أو التنفير عنه، ألا ترى أنّك إذا شبّهت صورة بصورة هي أحسن منها كان ذلك مثبتاً في النفس خيالاً حسناً يدعو إلى الترغيب فيها؟ وكذلك إذا شبّهها بصورة شيء أقبح منها كان ذلك مثبتاً في النفس خيالاً قبيحاً يدعو إلى التنفير عنها))[٣] .

ومن التشبيه في خطاب الجنَّة والنَّار قوله تعالى: (**وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ**)[آل عمران:١٥١].

(١) ينظر: الصناعتين: ٢٤٥/١.
(٢) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة،١٢١/١.
(٣) ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير – ابن أبي الحديد، تحقيق: أحمد الحوفي-بدوي طبانة،دار نهضة مصر،القاهرة، (د.ط) (د.ت)، ج١، ٣٩٤.

في هذا التشبيه البليغ يجعل النار مأوى، ومثوى للظالمين. يشبّه النار بالمأوى ، إنّ التباعد الدلاليّ بين ماتوحي به كلمة مأوى ومثوى(المشبه به) من أمان واستقرار وطمأنينة، وبين ما تحيل عليه النار (المشبه) من العذاب، يمنح التشبيه طاقة إيحائيّة، ويقوي الدلالة، فكما ركن الظالمون إلى ضلالهم، واستقروا به في الدنيا ستكون النار مثواهم، ومستقرّهم في الآخرة، جزاء لما اقترفت أيديهم من آثام. فربط الحقول الدلالية لطرفيّ التشبيه هزّ أفق التوقّع لدى المتلقي، إذ تخلخلت الروابط اللغويّة العاديّة، وانزاحت الحقول المتباعدة، لتتصهر في أتون التشبيه، وتخرج بحلّة جديدة، ومعانٍ جديدة تحقّق وظيفتها من وعظ، وترهيب، وتحذير، واستهزاء. فضلا عن الجماليّة التي يضفيها الانزياح والجمع بين المتباعدات في بؤرة دلاليّة واحدة تحيل على فكرة محوريّة، ومقصد أساس وهو معنى الاستقرار والخلود.

وما كلّ هذا البيان الموظّف خير توظيف إلا آية إعجاز ، تؤكّد مصدره الربّاني فالنبي محمد ﷺ أعظم آياته هو القرآن الكريم المعجز[1].

إنّ إحساسنا بالجمال إنَّما يرجع إلى ما يحدث في دوافعنا النفسية،ومايطوى فيها من مشاعر وذكريات،ونوازع ورغبات ضرباً من النظام أو التوازن أو الانسجام[2] ، وهذا ما يستهدفه الخطاب البياني القرآني فينا.

(١) ينظر :إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، صلاح عبد الفتاح الخالدي،٣٥.
(٢) ينظر :في النقد الأدبي، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٨، ١٩٩٣، ٨٥.

فاستعمال الخطاب القرآني للتكرار، فيعيد هذا التركيب الجديد (مأواهم النار) (مثواهم النار) في مواضع عدّة بغية تذكير المتلقي، وترسيخ الفكرة في ذهنه، وغرسها في وعيه ولاوعيه. ليؤكّد الخطاب الإلهيّ يقينيّة مصير الكفّار، والظالمين، والمشركين وهي النار بوصفها مستقرّهم إلى الأبد، ومثواهم المعدّ لهم، والمأوى الذي سيضمّهم .

وهذا التشبيه يتكرّر في موضع آخر هو في قوله تعالى: (**فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**)[البقرة: ٢٤].

ممَّا يدلّ على إصرار الخطاب القرآنيّ على تذكير العاصين، والجاحدين، والمشككين على حدٍّ سواء بأنّ هذا مصيرهم (وقود لنَّار جهنَّم)، وذلك إن لم يتعظوا، ويتنبّهوا ، ويتبعوا سبيل الهداية، ويطيعوا ما أمرهم الله به.

وقد تناول القرآن الكريم لوناً آخراً للتشبيه إذ قال عزّ وجلّ: **(وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ**)[البقرة: ٢٦٥].

في التشبيه التمثيليّ السابق يشبّه الله عزّ وجلّ صورة بصورة؛ صورة الذين ينفقون أموالهم يبغون مرضاة الله والتثبيت بصورة أخرى هي بستان(جنّة) في (ربوة) والربوة مكان مرتفع كثيف التراب، وهذا يزيد من جودة التربة للزراعة، وحسن إنتاجها؛ هذه الجنة أمطرها الله سبحانه وابلاً ، فأعطت ثمارها ضعفين مقارنة مع سواها.

إنّ فاعليّة الصورة الفنيّة تأتي من قدرتها على الجمع بين الحقائق المتباعدة، واستحضار العلاقات الطريفة بين الأشياء، وبقدر طرافة هذه العلاقات تتحقّق فاعليّة الصورة(١) .

وهذا ما نلمسه في الصورة السابقة؛ فالتشبيه جمع بين أمرين متباعدين في علاقة هي حقّاً طريفة. تحقّق الغاية في تثبيت الأثر في نفس المتلقي، وتتجذّر أركانها في خياله، لتعمّق إدراكه لها، وانفعاله معها. هذا التشبيه التمثيليّ المركّب جمع بين مشهدين المشترك بينهما كثير وعميق. فالمؤمنون الذين ينفقون أموالهم لوجهه الكريم، كأنّما هم فلاحون، زرعوا بذورهم في تربة صالحة هي إيمانهم، ورغبتهم في التثبيت، ونيل رضا الله تعالى.

ومن التشبيه التمثيليّ في خطاب الجنة والنار القرآني ورد أيضاً قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾[البقرة:١٧].

تشبيه تمثيليّ يشبّه فيه حال المنافقين وقد أظهروا الإيمان والتسليم لحماية أنفسهم وأموالهم دون أن يؤمنوا حقاً، فأضمروا الشرك بحال من حلّ عليه الليل في صحراء، فأوقد ناراً أنارت له ورأى ما حوله، واستدفأ بها ثمّ انطفأت ناره، فخيّم عليه الظلام، وعاد إلى حالته الأولى .

والنبر هنا على حاسة البصر في تكوين صور بانورامية لما حولها، وذلك لمركزيّة هذه الحاسة و((نظراً لاعتماد الذاكرة الشعريّة عند الشعراء على العين الباصرة في التقاط الصور وتكوينها وتركيبها أكثر

(١) ينظر: الصورة الاستعارية في الشعر العربي الحديث رؤية بلاغية لشعرية الأخطل الصغير، د.وجدان الصائغ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، (د.ط)،٢٠٠٣م ،٢٧.

من اعتمادها على بقيّة الحواس كما أنّ حاسة البصر تأتي في مقدمة الحواس المقدّرة للجمال))[١].

والأمر عينه يوظّف هنا في الخطاب القرآنيّ الجليل. فالعين لها مركزيّتها بين الحواس، واستثمارها في الصورة الفنيّة من الاستراتيجيات الفعّالة في تقوية الأداء الفنيّ للصورة المحمّلة في هذا الخطاب بوظيفة محدّدة فنيّاً ودينيّاً.

وقد احتوى التشبيه التمثيليّ على أهمّ عناصر الصورة الفنيّة، وأكثرها غنى، وهو عنصر الحركة. والحركة من أهمّ مزايا التشبيه عامةً، وهي ((من بديع التشبيهات وجليلها لأنّ التقاطها، وهي جادة في حركتها، واضطرابها دليل المقدرة، والوعي، وقوة الملاحظة، ثم تصويرها وهي تتحرك، أعني المحافظة على هذه الحركيّة الحيّة الباعثة للنفس التي تنفي عنها ملل الجمود))[٢].

لقد كانت الأمثال دائرة بين الأمم خاصةً عند العرب بل كان استعمالها يعدّ من شؤون الفصاحة والبلاغة، وقد نهج القرآن الكريم في استعمال الأمثال لغرض تفهيم المخاطبين، والتكلّم معهم بلسانهم المتعارف بينهم، وجلب قلوبهم إلى غير ذلك من الحكم والفوائد.وقد اهتمّ بها القرآن الكريم اهتماماً كبيراً فقال تعالى:(**وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِيْ هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ**)[الروم:٥٨].

(١) التصوير البياني في حماسة أبي تمام – دراسة بلاغية تحليلية موازنة، عيسى بن صلاح الرحبي، أطروحة دكتوراه، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية،٧٢.
(٢) التصوير البياني- دراسة تحليلية لمسائل البيان، محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٦، ٢٠٠٢م ،٦٦.

والمراد باستيقاد النار في قوله تعالى : (مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله) هو إيقادها للاهتداء بنورها أو الاستضاءة به كما كان يفعل ذلك في قديم الزمان. وقوله(ذهب الله بنورهم) المراد به الأعم من النور الظاهريّ الذي كان من إيقاد النار، والنور المعنويّ الذي هو الإسلام[1] .أي مثالهم في نفاقهم وحالهم العجيبة فيه كحال شخص أوقد ناراً ليستدفئ بها ويستضيء،فما اتقدت حتى انطفأت،وتركته في ظلام دامس وخوف شديد،يتخبط فلايهتدي[2] .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: (**أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ**)[التوبة: ١٠٩].

كما نلاحظ الارتكاز على التشبيه التمثيليّ، ومقارنة صورة بصورة أو مشهد بمشهد. وهذه امارة من امارات المعنى المراد تثبيته في ذهن القارئ. إذ يؤدّي هذا التشبيه الذي قوامه الحركيّة إلى حركة تناظر فعله المتحقّق في ذهن المتلقي، عبر استحضار الصور والأخيلة، وإعمال الفكر والمنطق، والمحاكمة العقلية. وكلّ هذا يخدم الغاية الأساسيّة للصورة الفنيّة وهي التأثير والإقناع ويقوي أثر التشبيه القرآني.

(١) ينظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الآعلى الموسوي السبزواري، مؤسسة أهل البيت، بيروت-لبنان، (د.ط)،ج١، ١٠٠-١٠١.
(٢) ينظر: صفوة التفاسير،٣٧.

ونعني بأثر التشبيه القرآني وهو مايمكن أن يضيفه ذلك التشبيه من صور جمالية تكسو المعنى المراد رونقاً وجمالاً فيكون وقعه في النفوس أبلغ وتأثيره في القلوب أكبر[١] .

في هذه المقارنة نلحظ الاستفسار المطروح (سؤال العارف) محسوم الإجابة، إذ من البديهيّ أنّ من يؤسّس بنيانه على دعائم الإيمان الصلبة لهو خير من ذلك الذي يؤسّسها على الضلال والكفر والشرك، وبذلك يكون حاله كمن أسّس لبنيانه، ووضع دعائم له على شفا جرف هار، متهوّر، ينتهي به الحال إلى الانهيار، والسقوط في الجحيم. يمكن أن نلاحظ حركيّة المشهد التي تبثّها عناصره، ومدى قدرتها على استثارة الحواس عبر استحضار صور سمعيّة بصريّة لجرف ينهار، فيكاد المتلقي يراه عياناً، ويسمع صوت انهياره بإذنيه. كلّ هذا يصبّ في خدمة وظيفة الصورة الفنيّة المستخدمة بشقّيها الجماليّ والدينيّ الوعظيّ. فالمؤمن يبني على أساس صلب ومتين فلا يضيره إن هبّت عواصف، أو انجرفت تربة، أو فاضت سيول على نقيض الكافر الذي تعكس صورة بنيانه لأساساته على جرف هار، حالة عدم الاستقرار، والضعف، والتداعي، والسقوط المحتم عند أول طارئ.

ففي الآيات السابقة الذكر نلاحظ ما للحركة من فاعليّة كبيرة تمدّ الصورة بإيحائية تضفي على المعاني المزيد من الظلال. ففي التشبيه الأول نستطيع أن نحسّ بحركيّة العناصر على طول الأمد والمهلة التي تتضح من البؤرة الدلاليّة وهي (جنّة) و(آتت أكلها) فبين

(١) ينظر: التشبيهات القرآنية وأقرها في التفسير من أول سورة يونس إلى آخر سورة العنكبوت، أحمد بن سالم الشهري، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية،٢٠٠٩م، ٤٦.

العنصرين مهلة زمنيّة، وحركة نموّ وتوالد. وفي التشبيه الثاني حركة من يستوقد النَّار، يستلزمها المعطى الحسي المقترن بالصورة من حركة للمشبَّه به، وحركة للنار، وتصاعد لهبها. وفي الثالث بنيان على شفا جرف هار، متهدم، ينهار ويسقط في الجحيم. كلّ هذا يحقّق الغاية المرجوّة من التشبيه، والصورة الفنيّة وهو التأثير والإقناع. في حقيقة الأمر أنّ ((القرآن لا يقصد الاهتمام بالممثل به بقدر ما يهتم باقتراب الصورة في نفس الإنسان مع شدّة وضوحها وتأثرها))[١].

لقد ترك التشبيه التأثير النفسي الواضح ، وطبع صورة وفكرة في وجدان المتلقي ، ورسمها بإشكال والوان ، أعطت قوة الشعور ويقضية الضمير وإتساع الرؤية والوضوح في تلك الصورة ممّا جعل المتلقي أكثر أستيعاباً وفهماً ، لتلك الصور التي رسمتها الآيات القرآنيه[٢].

ومن التشبيه قوله تعالى: (**كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ**)[يونس:٢٧].

تشبيه مرسل مفصل أشار إليه اللغوي بقوله: يغشاهم ذلّ وهوان لعقاب الله إيّاهم كأنّما ألبست وجوههم سواداً من الليل المظلم[٣].

إذاً يكرّر الخطاب الإلهيّ هذه الدلالة في مواضع عدّة ومنها قوله تعالى: (**إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ**)

(١) الدعوة الإسلامية، د.أحمد غلوش، دار الكتاب المصري- اللبناني، (د.ط) ،١٩٧٨م، ٣٨.
(٢) ينظر : الدعوة الإسلامية: ٣٨٤
(٣) ينظر: شرح السنة، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: شعيب أرناؤوط-محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق-بيروت،١٩٨٣ .

[المائدة:٧٢]، وفي قوله تعالى:(قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) [الأنعام: ١٢٨]،وقوله تعالى (أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)[يونس:٨]،وقوله عزّ من قائل(مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ) [الحديد:١٥].

(وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ)[العنكبوت: ٢٥]، وقوله سبحانه(وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ)[السجدة:٢٠]، وقوله تعالى(وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ)،[الجاثية: ٣٤] وقوله سبحانه(فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ)[فصلت:٢٤]

وقوله عز من قائل(وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ) [محمد:١٢]، وقوله تعالى(إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ)[المائدة:٧٢]، وقوله سبحانه(لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ)[النور:٥٧]، وقوله تعالى(وَمَأْوَاهُم جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ)[الرعد:١٨]،وقوله تعالى(فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى)[النازعات:٣٩].

نلاحظ إلحاح الخطاب الإلهي على الفكرة، وتكرارها في مواضع متفرقة، وآيات متنوعة. كلّ هذا هدفه التأكيد، والإلحاف على يقين المصير المحتوم، واقتران قطبيّ التشبيه في علاقة إسناديّة يلتحم فيها المعنى، فيغدو (الكفّار) و(جهنَّم مأواهم) صنوان، يستحضران إلى

الذهن عند استدعاء أحدهما تلقائياً. في مقابل هذه الصورة، أو الفكرة ،أو المشهد لا يغفل الخطاب الإلهيّ عن التذكير بالطرف المقابل، أو النقيض وهم أهل الجنة، ونعيمهم، وهم كذلك خالدون مستقرون فيها أبداً. قال تعالى: (**وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**) [الأعراف: ٤٣]، (**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَار**)[البروج:١١]،(**جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**)[البينة: ٨] ، وغيرها كثير من الآيات التي تذكِّر بمصير المؤمنين، وما وعدوا به من جنات النعيم.

لقد أحدث القرآن توازناً بين رغبات النفس،وحاجات الجسم،ومتطلبات الروح،كما تضمَّنت سورهُ جمالات لاحصر لها،في الأسلوب،والنظم والتأليف،والصورة،وأنظمة الحياة المختلفة(١).

إذن تمّ توظيف التشبيه توظيفاً فنيّاً ، حقّق غاية الخطاب الإلهيّ في الإقناع، والتأثير، والوعظ عبر الاستناد على ميزات التشبيه المتنوعة، الحركيّة في استحضار صور وأخيلة وخاصّة إلى ذهن المتلقي تكون أدعى لتأثّره، وانفعاله، واستجابته، وذلك لإشراكها حواسّه في المقاربات المنطقيّة، والمقارنات، والتشبيهات التي جمعت بين أطراف متباعدة ، وصهرتها في أتون صور موحّدة ، ترتكز على معان متعددة فنلاحظ التشبيه في الايات السابقة قد اسهم في ارتباط وتلاحم المفاصل الاساسية مع الفكرة العامة التي تطرحها هذه الايات

(١) ينظر: البناءات الجمالية في النص القرآني، رائد مصباح الداية، رسالة ماجستير،الجامعة الإسلامية،غزة، ٢٠١١م، ٣.

بشكل دون اي يجعل اجزاءها مرتبطة دون اي انفصال[١] ،تركته يتقصّدها الخطاب، ويعمل على تقريب المعاني اللطيفة الروحيّة إلى إدراك المتلقي عبر ربطها في علاقات إسناديّة تركيبيّة مع جزئيات حسيّة تضمن انفعاليّته المطلوبة، وجذب انتباهه، عبر إقحام حواسّه في صور، تتنوع بين الحسيّة، والعقليّة، والمزيج بينهما.

المبحث الثاني: البِنية الاستعاريّة :

الاستعارة لغةً:

يقالُ استعارَ فلانٌ سهماً من كنانتِه: رفعَه وحوّلَه منها إلى يدِه[٢] ، قالَ الزمخشري((وأرى الدهرَ يستعيرني شبابي، أي يأخذُه منّي))[٣] ،إذاً الاستعارةُ في اللغةِ تأتي بمعنى الأخذ.

الاستعارةُ اصطلاحاً:

((هي إدعاء معنى الحقيقة للشيء للمبالغة في التشبيه))[٤].

وخطاب الجنَّة والنَّار يستند على هذا اللون البياني المبهر، فنراه يتردّد في مواضع مختلفة، يثري المعنى، ويراكم الدلالة، ويمتّع الذهن بفك الغموض، وكشف الغطاء عن نسب القربى والمشاكلة بين طرفي الاستعارة التي جمعت بين أقطاب التشبيه في صياغة فنية جديدة.

(١) ينظر: البعد الترابطي في القران الكريم ، ٩٥.
(٢) ينظر : لسان العرب، مادة ع ي ر،٤/ ٦٢٠.
(٣)أساس البلاغة، الزمخشري، محمود بن عمر الزمخشري جار الله أبو القاسم، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١٩٩٨،١م، مادة ع و ر،٣١٦.
(٤) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق:عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٩٩٧م، ٢٥٤/١.

اذ نجد قوله تعالى:(وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ)[الصافات: ١٥٨].في هذه الآية القرآنية ، استعارة مكنية ،في لفظة الجنة ؛ إذ حذف المشبه به وهو الانسان وابقى شيئاً من لوازمهِ ، وهو العلم وإن هذا النوع من الاستعارة يدخل في باب التشخيص ، إذ نظفي على الموجودات والكائنات صفات بشرية ((إنّ التشخيص _كما نعلم_ هو أن نربط في علاقة إسناديّة كلمتين ((إحداهما تشير إلى خاصيّة بشرية، والأخرى إلى جماد أو حيّ أو مجرّد))[١].

ومن ذلك أيضاً قوله عزّ وجل: (يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ)[ق: ٣٠].

إذ جاء الخطاب على سبيل الاستعارة المكنية إذ حذف المشبه به، وأبقى شيئاً من لوازمه، وهو القول .

وهذا أيضاً تشخيص إذ اسدى على جهنّم صفة بشريّة، و أنسنها، واستلّ منها إنساناً عاقلاً مدركاً، وراح يحاوره ويسأله: هل امتلأتِ؟ فتطلب المزيد. فهي إذ ردّت الجواب، تجيبُ عن وعي وإدراك لحاجتها، ورغبتها بالمزيد. وهذا من لطيف التوظيف القرآنيّ لألوان البيان. وكما عهدنا منه فإنّ ((البيان القرآنيّ المعجز لا ينطق الجماد الأصمّ فحسب، بل يجرّد منه كذلك شخصيّة حيّة فاعلة ناطقة مريدة مدركة))[٢].

(١) في النص الأدبي- دراسة أسلوبية إحصائية، د.سعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة،ط٣، ٢٠٠٢م ،١٩٠.
(٢) التفسير البياني للقرآن الكريم، د.عائشة عبد الرحمن، ،دار المعارف،بيروت،ط ٧، ٨٨.

والأنسنة من ركيزات الخطاب الإلهيّ الأساسيّة، ويكثر الاتكاء عليها في مواطن مختلفة. وهو من مميّزات التشخيص أيّ فاعليّة فنيّة تمثّل منطلقات المتكلم او المخاطب وإدراكه للأشياء التي يتعامل معها وفهمه لها، فهو يحول المفهومات إلى أشياء مدركة ومحسوسة(١).

هذا عن المتكلم المتعارف عليه، وأمّا الحال هنا أنّ المرسل هو الله عزّ وجلّ، فالغاية من التشخيص هي تحويل المفهومات والمجرّدات البعيدة عن الحسّ إلى مدركات حسيّة حتى يتسنّى للمتلقي فهمها. فالانطلاق هنا هو من إدراك المتلقي (المخاطب_المرسل إليه)، ومنطلقاته، وفهمه التي هي المستقر وهدف الخطاب أيضاً وليس من منطلقات المتكلّم(المخاطِب_المرسل) الذي هو هنا خالق البريّة. وهذا هو دأب الخطاب الإلهيّ في بيانه وبلاغته، إذ استطاع الحفاظ على مستوى رفيع من البلاغة دون أن يستغلق على الأفهام أو يدخل في التعمية، فجمع بين وضوح المعنى، وبراعة الصياغة في آن.

ومن الاستعارة أيضاً قوله تعالى:(**وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**)[السجدة:١٣].

ويردُ الخطاب الإلهيّ بصيغة الاستعارة فيشَّبه جهنّم بالوعاء أو الإناء فيحذف المشَّبه به ويبقي شيئاً من لوازمه وهي الامتلاء(لأملأنّ) ، على سبيل الاستعارة المكنيّة.

وتؤدي الاستعارة هنا وظيفتها المنوطة بها إذ تقدم للمتلقي صورة حسيّة لـ(جهنم) وهي مفهوم بعيد عن الحس، وعبر الصورة يقرّب

(١) ينظر: تشكيل الخطاب الشعري- دراسات في الشعر الجاهلي، موسى ربابعة، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، ط٢ ،٢٠٠٥م، ١/ ١١٦.

الخطاب الإلهيّ المشهد من الفهم، مستنداً على ما تمدّه الاستعارة للتركيب من طاقة إيحائية، يستطيع المتلقي معها تخيّل جهنّم كوعاء أو إناء يفيض منه الناس وقد امتلأ.

ومن عظيم أثر القرآن الكريم في نفس قارئه وسامعه من المؤمنين أن تقشعرّ جلودهم،ومن ثم تلين وتطمئن قلوبهم لذكر الله وهذا دليل واضح على إعجاز القرآن الكريم في النفس الإنسانية[١] ، وقد حققت الاستعارة في الآية السابقة هذا الاثر فالقارئ يستشعر بالاحاطة والشمول ، للمساحة التي يلقى فيها المجرمين ويحس بالضيق والصعوبة والألم .

وتتكرّر الصورة في موضع آخر كقوله تعالى: (**وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**)[هود:١١٩].

في الحقيقة ((إنَّ الأثرَ النفسيَّ للصورةِ عند المتلقي يعدُّ أهمَّ شيءٍ فيها، إذ أنّها تقصدُ إثباتَ الخيالِ في النفسِ، والصورة الفنيّة هي العنصر الأساس في تكوين مفهوم واضح للأسلوب، لأنّها مجموعة العلاقات اللغويّة والبيانيّة والإيحائيّة القائمة بين اللفظ والمعنى))[٢].

وهذا ما يتحقق للصور المصاغة بعناية، والموظَّفة في الخطاب الإلهيّ خطاب الجَّنة والنَّار.إذ تمدّ الصور المستعملة السياق بطاقة مهولة من الإيحاء، والانفعال، والدلالة، تستطيع معها رسم صورة متقنة لاسبيل للمتلقي إلّا الانفعال معها وبها، وذلك لاستمرارها في

(١) ينظر: الإعجاز النفسي في القرآن الكريم، عبد الله علي عبد الرحمن أبو السعود، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٥م، ٦٠.
(٢) الصورة الفنية في المثل القرآنيّ، محمد حسين الصغير، دار الرشيد للنشر، بغداد، (د.ط)، ١٩٨١م،٣٧.

تغذيــة أخيلتــه بصــور حيَّــة متحرّكة،وغنيــة، وفاعلــة. فــامتلاء جهــنّم فــي التشــبيه الســابق، يدعمــه فــي موضــع آخــر صــورة أخــرى لهــا تظهــر فيهــا النَّــار كــائن حــيّ تأكــل قرابينهــا. وللمتلقــي أن يتخيّــل عندئــذ مشــهد النَّــار التــي تغــصّ بالنــاس، وتأكــل مــنهم، وتبتلــع كــلّ مافيهــا، و تجيــب عــن الأســئلة: هــل امــتلأتِ؟ فتطلــب المزيــد وللمتلقــي هنــا أن يســمع ســعيرها، ويلفحــه لهبهــا. إنّهــا حقّــاً صــورة يقشــعرّ لهــا البــدن. وتــدفع المتلقــي إلــى التفكّــر، والتأمّــل، وإعــادة حســاباته حتــى يتجنّــب هــذا المصــير. لتحقّــق الصــورة بــذلك غايتهــا الوعظيّــة والترهيبيّــة. ويشــير محمد حســن عبــد الله نقــلا عــن العقــاد ((بأنــه إن وجــدت نفســك قــد انتقلــت مــع الشــاعر مــن عــالم المحــدود إلــى عــالم المطلــق اللامحــدود،وإن وجــدت شــواهد خبرتــك فــي الحيــاة قــد تقــاطرت إلــى ذهنــك بفعــل الصــور المحسوســة التــي طالعتهــا فــي القصــيدة فــاعلم أنــك إزاء شــاعر عظــيم. فمــا بالــك هنــا وأن صاحب الصور والبيان هو الخالق العظيم عينه))[1] .

وفــي موضــع آخــر يقــول عــزّ وجــل: (**الَّــذِينَ قَــالُوا إِنَّ اللَّــهَ عَهِــدَ إِلَيْنَــا أَلَّــا نُــؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ**)[آل عمران:١٨٣].

يشــبّه النَّــار بالكــائن الحــيّ الــذي يأكــل، فيحــذف المشَّــبه بــه ويبقــي علــى شــيء مــن لوازمــه وهــو الأكل(تأكلــه)على ســبيل الاســتعارة المكنيّــة. والصــورة هنــا تــدعم أخواتهــا فــي مواضــع أخــرى لتشــكّل كــل صــورة لجهــنّم وللنَّــار بنيــة جزئيّــة، تــدخل فــي بنيــة كليّــة، ترســم صــورة كاملــة ومتكاملــة لمشهد جهنّم بتفاصيله، يقدّم للمتلقي لعله يتعظ ويتفكّر.

(١) الصورة والبناء الشعري محمد حسن عبد الله، دار المعارف، مصر، (د.ط)(د.ت) ،٢٩.

ونؤيد هنا ماذهب إليه الرماني إذ يرجع قدرة التأثير وبلاغة التعبير في التشبيهات والاستعارات القرآنية إلى تقديم المعنى إلى حواس المتلقي(١).

ومن الاستعارات الموحية أيضاً في قوله تعالى: (**يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ**)[هود:٩٨].

نلاحظ عناية الخطاب الإلهيّ بانتقاء الألفاظ ، وتوظيفها في التركيب المقدّم ، ورصف الكلمات في علاقات إسناديّة تنمُّ عن إبداع في إزاحة الكلمات على محور الاختيار، والتلاعب بها وتقديمها في حلّة جديدة.

ففي الاستعارة الموظفة هنا نجد أنّ الخطاب الإلهيّ يقدّم تشبيهاً مزدوجاً ومضاعفاً، يكثّفُ معاني عَّدة ،في كلمتين اثنتين(أوردهم النَّار) ، فما يتبادر للذهن بداية عند سماع (أوردهم) هو الماء،إنَ كلمة أوردهم تدلُّ في أول سماعها أَّنه قدم بهم إلى نهاية حسنة أو نهاية اَمنه ولكن كسر التوقع الذي احدثه الخطاب القرآني بأن جعل موردهم النَّار، فيثير القارئ ويحرّك شعورة فيجعله يعيد التفكير في معنى الآية وما يؤول إليه مصير الجبابرة فالخطاب الإلهيّ هنا يكسر المألوف، ويهزّ كعادته أفق التوقع، فنجد أنّه يوردهم هنا النار، وهي نقيض المتوقع، ممَّا يقذف في النفس اضطراباً ودهشة؛ إذ كيف يورد العطشى إلى النَّار!. هذا من جهة ومن جهة أخرى يحمل التركيب معنى آخر إلى جانب أنّ القوم يوردون النار، وهو معنى، أو مشهد

(١) ينظر: الصورة الفنية في القصة القرآنية قصة سيدنا يوسف عليه السلام أنموذجاً دراسة جمالية، بلحسيني نصيرة، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، ٢٠٠٥م ،١٩.

قطيع يورد إلى الماء لينهل منها. فالاستعارة هنا ثنائية الوجه على فرعين الأول تشبيه القوم بالقطيع وهي استعارة مكنية، والآخر تشبيه النار بالنبع أو البئر أو الماء وهي استعارة مكنية أيضاً.

وعند التأمل في الآيات القرآنية في قوله تعالى :(**وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**)[الزخرف: ٧٢] ،(**وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ**)[الزمر: ٧٤] ،(**وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ**)[الشعراء: ٨٥]، (**تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا**)[مريم:٦٣].

نجد التكرار في الآيات السابقة استعارة واحدة بصياغة مختلفة. وهذه التعابير على تنوعها تحمل معنى واحد وهو أنّ الجنّة هي إرث الأتقياء والمؤمنين. سواء تمّ التعبير عنها بصيغة الفعل (أورثتموها–أورثنا–نورث) أم الاسم(ورثة) فركنا الاستعارة واضحان، إذ يشبّه الجنّة بالأملاك، والأوقاف، والمتاع التي يتمّ توارثها بين الناس، فحذف المشبه به، وأبقى على شيء من لوازمه (نورث–ورثة–أورثناها) على سبيل الاستعارة المكنيّة. فالصورة تحمل معنى الاستعادة الذهنية لمدرك حسي في الذهن غير موجود في الإدراك المباشر[1] ،ولمزية أرادها الله تعالى في كتابه بأنّ جعلهُ كتاباً خالداً لا تضعف كلماتهُ ولا تنفد أسراره على مرّ الدهور، جعله سبحانه زاخراً بفنون البلاغة المعجزة التي ابهرت الناس على مرّ السنيّن ،

(١) ينظر: الصورة الفنية في القرآن الكريم، محمد طول، أطروحة دكتوراه، ١٩٩٥م: ٧.

وأعجزتهم عن الاتيان بمثلة[١] ، لجأ سبحانه إلى التلوين في البيان وإعجاز الناس على مرّ الزمان أن يأتوا بمثله.

لا يخفى ما للاستعارة هنا من اثر في توالد المعاني، واستحضار القرائن، فالإرث هنا أدّى معاني عدة، أولها أنّ الجَّنة من إرث المؤمنين أي أصبحت ملكاً لهم، والثاني أنّ لمن يورث عادةً صلة قربى، وعلاقة وطيدة تجمعه بالوارث، هذا يدل على قرب المؤمنين من الله تعالى، وصلة نسبهم به، فهو سيورثهم الجنة أي بهذا المعنى هم يحتلون عنده مكانة عُلْيا. إضافة إلى معنى التملك والقرابة مع الخالق عزّ وجلّ، تحمل هذه الاستعارة معنى الثبات، والاستقرار، إذ ستكون الجنة بمثابة دار لهم، يرثونها عن الله سبحانه وتعالى.

ويبدو للبحث انّ للاستعارات جمالها وبهاؤها، وموقعها المثير في نفس المتلقي لذلك نرى أنّ لها مساحة واسعة من التعابير والأساليب الفنيّة لدى العرب عامة، وفي القرآن الكريم خاصةً،((فالعرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة إذا كان المسمى بها بسبب من الآخر أو مجاوراً لها أو مشاكلاً))[٢] ،من الاستعارات الجميلة أيضاً قوله جلّ وعلا: (**وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ**)[الأنعام:٢٧].

تحمل الاستعارة هنا تشبيهاً للنار ،فحذف المشبه، وأبقى على شيء من لوازمه وهو الحبس(وُقِفوا)على سبيل الاستعارة المكنيّة. يجمع بين الطرفين معاني القيد، والحبس، والتضييق، وعدم وجود مفرّ،

(١) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٥ م: ٢٥.
(٢) ينظر: مختصر المعاني، سعد الدين التفتازاني، ٢٥٧.

والعـذاب. ولهـذا أثـره البـالغ فـي نفـس المتلقـي الـذي سـيجمع فـي مخيلتـه بين النار والسجن ليكون صورة عن مآله إن هو عصى كلمة الله.

وكمـا نلاحـظ أنّ للاسـتعارة المكنيّـة حضـورها القـوي فـي خطـاب الجنـة والنـار وذلـك لمـا تنطـوي عليـه مـن قـدرات إيحائيـة، وطاقـات تنضـح بالدلالـة، وتـراكم المعنـى . زد علـى ذلـك ماتحملـه مـن جماليّـة وإتقـان فـي الصـياغة الفنيّـة، وتقريـب بـين المتباعـدات، وقـدرة علـى التعبيـر عـن المفـاهيم فـوق الحسـية بالاسـتعانة بمـدركات وصـور حسـية.كلّ هـذا يضـمن للصـورة الفنيّـة التـي ركنهـا الاسـتعارة هنـا، ويضـمن كـذلك للخطـاب الإلهـيّ قـوة التـأثير، والوصـول إلـى ذهـن القـارئ، وإدراكـه، وتقريـب صـورة العـالم الآخـر، فيقـارن بـين مـا يمكـن أن يـؤول إليـه حالـه بين طرفي نقيض الجنة والنار وعليه هو أن يختار.

المبحث الثالث : البنية الكنائيّة :

الكنايـةُ فـي اللغـةِ((مصـدر كنيـت كـذا عـن كـذا أو كنيـت، إذا تركـت التصريح به))[١].

و جـاء فـي العـين: الكنايـة هـي أن تـتكلّمَ بشـيءٍ وتريـد غيـره، وكنـى عـن الأمر يكني كنايةً إذا تكلّم بغيرِه مما يستدلُّ عليه[٢] .

أما الكناية اصطلاحاً فهي :

(١) ينظر: مشكل القرآن، د.عبد الله بن حمد المنصور ، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢٦هـ، ٧٦.

(٢) ينظر: العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، ت: د.مهدي المخزومي، د.إبراهيم السامرائي، بغداد (د.ط)،١٩٨٢، ١٧٤/١٢.

((أن يريدَ المتكلّم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه، فيومئ إليه ويجعله دليلاً عليه))[١] .

ومن أمثلتها في خطاب الجنَّة والنَّار ما جاء في قوله تعالى:(سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ)[إبراهيم: ٥٠].

في الآية الكريمة يجعل الله عزّ وجلّ سرابيل الكفار من قطران. والمتأمل للصورة تستحضر عناصرها إلى ذهنه مشهداً مألوفاً. يذكر في هذا المقام أنّ الإبل كانت تدهن بالقطران إذا أصابها الجرب، فيبدو كأنّه لباس. والمشهد عينه يتطابق هنا مع حال الكفار الذين يطلون بالقطران، فيغدو لباساً لهم. و مع القياس والمقارنة، لعلّنا نجد في هذا كناية عن حالة النبذ،والمنزلة المهانة المقترنة بوصفهم غير المباشر بالجرب. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنّ القطران مادة سريعة الاشتعال ،فالقطران زيت اسود لزج منتن تشتعل فيه النار بسرعة ، ولعل المراد بالقطران صفر مذاب متناه حرّهُ ، فتخشى وجوههم النار، ذكر الجزء واراد الكل وفيها كناية عن الشمول فقد خصّ الوجوه لانّها أعزّ الأعضاء للأنسان وهي مركز كينونته فعبَّرعنها بالكل[٢] ، ولا يخفى أثر الصورة الحسيّ والنفسيّ، ودوره في تنفير المتلقي، وترهيبه من هذا المصير.

وللكناية كما نرى جماليّتها التي تكمن في تنبيه الملكات،والإتكاء على الرمز ،واللمحة والإيحاء.

(١) دلائل الإعجاز في علم المعاني، ٤٤.
(٢) ينظر: تفسير القرآن الكريم ، ٣٣١

فالكناية هي ((تنبيه الملكات، واستثارة الأذواق من خلال اللمحة والإشارة، والتعريض، والرمز، والإيحاء، والمبالغة، ووضع المعنويات في صور المحسوسات))[1] ، ونلاحظ مافعلت الآية السابقة في نفس القارئ وما أحدثته من قلق في نفسه وشعوره .

وفي المعنى عينه نجد قوله تعالى : (**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا**)[غافر: ٤٦] ، إذ يعرض الذين كفروا على هذه النار المهولة (غدوّاً وعشيّاً) كناية عن استمرارية الفعل، وطول أمده.

يستمرّ التحذير والترهيب من هذه النَّار في خطاب الجنَّة والنَّار. وتطالعنا هذه النار في مواضع كثيرة تارة يصفها، وتارة يصف أهليها وحال المقيمين فيها. كلّ هذا في إطار التلويح بالعصا، والتهديد والوعيد، بغية التفكّر والتأمل قبل فوات الأوان.

قال تعالى:(**فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ**)[هود:١٠٦].

فيبدو للبحث ان الخطاب الإلهيّ يصور حال أولئك الذين انتهى بهم المآل إلى النار. كان بإمكان الآية الكريمة أن تسلك طريق التقرير في الأسلوب، فتقول أنّ أولئك سيلاقون عذاباً شديداً. ولكنّ الخطاب الإلهيّ آثر أن يعبر تعبيرا مغايراً أدعى للتأثير في النفس. يقع من البيان موقعاً حسناً من ذهن السامع، موقعاً يستحوذ فيه على انتباهه، ويستثير خياله، فينفعل المتلقي جسداً وروحاً، وتدرك النفس بالمنطق

(١)الصورة الفنية معياراً نقدياً، د.عبد الإله الصائغ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد (د.ط)،١٩٨٧م، ٣٧٣.

بعد ما تحمله الصورة من إيحاء، قوة العذاب، فيوقن أنّ هذا الوعيد إن هو إلّا الحقّ، وأنّ من عصا وتجبّر لهو ملاقٍ هذا المصير الحتميّ. وماعليه والحال هذا إلّا أن يجنّب نفسه هذا العذاب المهول. في التركيب السابق(لهم فيها زفير وشهيق) صورة سمعيّة نقلت حال هؤلاء عبر حاسة السمع. فللمتلقي أن يتخيّل ذلك الصوت المريب،والمخيف، المرعب الذي يصدره المعذبون الذين يَصْلَوْن تلك النار المعدّة لهم أصلاً. فيسمع المتلقي صوتاً عظيماً(شهيقاً) يليه صوت منخفض(زفير) بعد أنْ استنفذ العذاب طاقة الصوت في الصرخة التي تبدأ عالية مدويّة، ويرتجع صداها زفيراً، تماماً كما في نهيق الحمار بدايته شهيق ونهايته رجع الصوت زفيراً. كل هذا ترسمه لنا الكلمات القليلة السابقة، التي كثّفت في عبارة صغيرة كناية عن عذاب لاحدّ له.

انّ من خصائص الكناية التي تذكر بها وهي عنوان مناقبها، ((أنّها تعطيكَ الكثيرَ من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدّة من الدرر، وتجني من الغصنِ الواحد أنواعاً من الثمر إنْ شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خفايا العقل كأنّها قد جسَّمت حتى رأتها العيون، وإن شئت لطفت الأوصاف الجسمانيّة حتى تعود روحانيّة لا تنالها إلّا الظنون))[1]

ويبدو للبحث إنّ لغة الخطاب الإلهيّ لغة تتسم بالمرونة، والابتكار، والإبداع، والتوالد في الدلالات والمعاني، وملائمة المقامات، وبراعة الانتقاء والاختيار من على محور الاختيار، لبناء علاقات إسنادية

(١) أسرار البلاغة، ٣٢-٣٣.

جديدة، تجمع كلمات متباعدة في تراكيب جديدة، تمنحها معاني وعلاقات جديدة.

إنّ علاقةَ اللغة والنصوص علاقة مركّبة، تحليليّة تركيبيّة، وقد تضطرّ اللغة للانقياد للنصّ، والإذعان لمتغيّراته بما يلائم المعنى المراد في خطاب ما. ذلك ((إنّ العلاقة بين النصّ ولغته هي علاقة كلّ بجزء، وهي علاقة معقّدة وليست بسيطة، فقد يفرض النصّ على اللغة التطوير، والتحوير، والتوليد، والابتكار، والتضمين، والإشارة، والرمز لتتوافق مع طبيعة الموضوعات المطروحة))[1].

والكناية من جماليتها الاتكاء على الإيماء، والإشارة، والاكتفاء بها دون التصريح.وجماليّة هذه الميزة تكمن في أنّها تشرك المتلقي في إعادة تفكيك التراكيب، واكتشاف ما تحيل عليه العبارات في علاقاتها الجديدة.

قال تعالى:(**وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُمْ مِنْهَا**)[آل عمران: ١٠٣].

تحمل العبارة(على شفا حفرة) إشارة تحيل على صورة لجرف هارٍ متهدّم، تقبع تحته هاوية سحيقة. وفي الآية تودي الحفرة إلى النار(من النار). تصبّ النهايتان (الهاوية–النار) في معنى واحد وهو الهلاك. تحمل العبارة إذاً كناية عن حال المخاطبين الذين كما تصفهم الآية كانوا مشارفين على الهلاك ذلك أنّهم كانوا (على شفا

(١) سلطة النص قراءات في توظيف النص الديني، عبد الهادي عبد الرحمن، سينا للنشر والانتشار العربي، ط٢، ٢٠٠٣م، ٣١٦.

حفرة من النار)، ولكن الله برحمته أنقذهم منها بعد أن كانوا قاب قوسين أو أدنى من الهلاك المحتم، والسقوط الأبديّ.

((إنّ الكناية بدورها طريقة من طرائق البلاغة، ولها من أسباب البلاغة في ميدان التصوير الأدبي ما يجعلها دائمة الإشراق ،واضحة المعالم، دقيقة التعبير والتصوير، فهي تأتي بالفكرة مصحوبة بدليلها، والقضية وفي طيّها برهانها، ومما لاشك فيه أن ذكر الشيء يصحبه برهانه أوقع في النفس))[1] .

ومنه قوله تعالى: (**والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم**)[الحديد: ١٩] .

جاء في اللسان ((الجحيم النار الشديدة التأجج.... فهي تجحم جحوماً أي توقّداً، فأجحم الرجل دنا أن يهلكه، والجاحم المكان شديد الحر))[2].

يتكرر في خطاب الجنة والنار هذه الثنائية التي طرفها الأول(أصحاب) والثاني هو (النَّار أو الجحيم). يدخل هذان القطبان في ثنائية يلتحمان فيها حتى لكأنهما قرينان في هذا السياق ويستحضر كلّ منهما الآخر. فالذين كفروا هم لاغيرهم أصحاب النار والجحيم. وفي هذا التعبير كناية عن ملكيّتهم للنار في إشارة إلى خلودهم فيها، واستمراريّة حالهم هذا إلى الأبد، ولامفر ولامخرج.

يعتمد الخطاب الإلهيّ على خاصيّة التكرار بهدف التوكيد، وترسيخ الفكرة في ذهن المتلقي حتى ليغدو يقيناً له أنّ الذين كفروا، والآثمين،

(١) البيان، إبراهيم مصطفى وآخرون، المطبعة الأميرية، القاهرة (د.ط)،١٩٥٢، ٦٠.
(٢) لسان العرب ، مادة حجم :١١٦/١٢

والعاصين هم أصحاب النار، ولايكاد يذكرهم حتى يستحضر قرينتهم النار .إشارة إلى مصيرهم المحتوم.وتضميناً للوعيد والترهيب.

والحقيقة إن بلاغة القرآن ممنهجة. والبلاغة في جوهرها منهج يمسّ خاصية ملازمة للإنسان هي الكلام(١) . وبلاغته تصب في إعجازه النفسي الذي هو سر من أسرار الإعجاز اذ يؤثر على الأسماع ويحاكي القلوب.إنه يخاطب فينا ملكات خفية لانعرفها نحن ولكن يعرفها الخالق سبحانه وتعالى وهذه الملكات تظهر حيثما يُقرأ القرآن(٢) .

ولنتأمل في قوله تعالى : (**يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ**) [البقرة:٢٥٧]،(**وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**)[آل عمران:١١٦] (**إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**)[المائدة:٢٩]، (**وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ**)[غافر:٤٣].(**قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**)[الزمر:٨]، (**وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**)[البقرة:٢٥٧]، (**وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ**)[الأعراف:٣٦].

(١) ينظر: البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، هنريش بليت، ترجمة وتعليق: محمد العمري، أفريقيا الشرق،بيروت (د.ط)، ١٩٩٩، ٢٣.
(٢) ينظر: الأثر النفسي للقرآن الكريم دراسة وتحليل، د.خليفة حسين العسال، كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية، جامعة قطر،٤٨.

نلاحظ إلحاح الخطاب الإلهي على تكرار التركيب (أصحاب النار) المنوط بداهةً بالذين كفروا، وضلّوا، وغرقوا بذنوبهم وآثامهم. في المقابل نجد التركيب المعاكس (أصحاب الجنة) في الطرف الآخر وهو أيضاً يتكرّر للغاية نفسها كناية عن تملّكهم، وثبات حالهم وخلودهم في الجنَّة. قال تعالى: (**أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا**)[الفرقان:٢٤]، (**أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**)[يونس:٢٦](**أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ**)[الحشر: ٢٠]. (**وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ**)[الأعراف: ٤٦](**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ**) [هود:٢٣] (**أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**)[الأعراف:٤٢] (**إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ**)[القلم:١٧].

وبعد تثبيت الخلود وترسيخه وثبات الحال، ينتقل الخطاب إلى الموازنة بين قطبي النقيض هذين ويصور الحوار الدائر بينهما. قال تعالى: (**وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا**)[الأعراف:٤٤]. ليثبت الحوار يقين الوعد والوعيد.

وقال تعالى :(**وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ**)[الأعراف: ٥٠]. وتحمل العبارة (أن أفيضوا

علينا من الماء أو مما رزقكم) كناية عن استغاثة أصحاب النار، وعن سوء حالهم، وعطشهم، وعذابهم.

وتحضر النار بوصفها قريناً للهلاك في قوله تعالى :(وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ)[غافر: ٤١](تدعونني إلى النار) فالنار كناية عن الهلاك المحتم. ومن وجوه الكناية التي يعتمدها الخطاب القرآني أيضاً التعريض. والتعريض نوع من الكناية كما هو معروف. ومن مزياته أنّه في مقام التعريض وسيلة مؤدّبة مؤثّرة معاً. فضلاً عن إيجازها. أما أنّها مؤدّبة، فلأنّها تصل إلى الغرض من غير أن تذكر الطرف المقابل، ومؤثّرة من ناحية أنّها توحي بأن ترك التصريح بما يخالف ما أثبته هو من الوضوح بمكان، كما أنّ الاكتفاء بالمثبت يوحي أحياناً بأنّه لا يليق أن يوازن بين ما أثبت وما نفي[1] ومنه قوله تعالى:(خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ)[الدخان: ٤٦-٤٩]. (ذق إنّك أنتَ العزيزُ الكريم). نلاحظ التعريض هنا وما يوحي به من كمّ هائل من السخرية، والاستهزاء، فالكلمات في السياق خرجت عن حقلها الدلاليّ المتواضع عليه وانزاحت عن معناها المنوط بها عادةً ليحمّلها السياق معاني ودلالات جديدة بل ومناقضة أيضاً . وباتت كلمتا (العزيز والكريم) تحملان معنى معاكساً فرضه السياق.وفي الحقيقة إنّ ((البحث عن معنى اللفظ مفرداً ليس دقيقاً دائماً، كما أنّ البحث عن معناه في سياق محدّد وعلى وفق ضوابط معينه ليس دقيقاً دائماً، لسبب بسيط هو أننا يجب أن نتأمل معنى اللفظ وهو

(١) ينظر: النكت في إعجاز القرآن،٨٩.

يـؤدي المعنـى فـي السـياق، وكـأنّ اللفـظ يجتـرح سـياقه منتجـاً معنـاه كمـا في السياق))[١].

وهكـذا مـع نظـام الخطـاب القرآنـي تنـزاح الكلمـات عـن معانيهـا المتواضـع عليهـا أحيانـاً، وتـارةً تـدخل فـي علاقـات جديـدة مـع كلمـات مجـاورة لهـا، ليتولّـد عـن هـذه العلاقـات تراكيـب جديـدة، تفـرض دلالات جديـدة يظفـي السياق عليها بمزيد من المعاني والإيحاءات.

وفـي الحقيقـة ((يصـبح الـنصّ انزياحـاً بـين اللغـة الطبيعيـة التـي تمثـل الأشـياء، وبـين ماتحتهـا مـن حجـم، أو سـماكة للاسـتعمالات الدالـة، فتخمـر الـدلالات بـنفس ماديتهـا، مـن داخـل اللغـة، حسـب لعـب عملـي، غريب عن الإيصال، يكسب المفردات قياسيتها))[٢]

إذاً اتكـأ خطـاب الجنَّـة والنَّـار علـى الكنايـة أيضـاً ومـا تحملـه مـن تعـريض، وتلمـيح، ورمـز، وإشـارة تنفـتح مـن جرائهـا حـول التراكيـب والعبـارات دوائـر دلاليـة متجـددة، يتسـع معهـا مجـال الاحتمـالات والأخيلـة، والصـور، والمقارنـة، والـربط، والتفكيـك ممـا يجعـل مـن عمليّـة التلقي عمليّة تفاعليّة بالضرورة.

وكـلّ هـذه الألـوان البيانيّـة مـن (كنايـة، وتشـبيه، واسـتعارة، ومجـاز)، وغنـى الأسـاليب، وبـديع التعـابير والتراكيـب وإتقانهـا، كـلّ هـذا يصـبّ فـي صـحف تفـرّد الخطـاب القرآنـيّ وإعجـازه ((فإعجـاز القـرآن البيـاني دليـل

(١) أسلوبية البيان العربي من أفق القواعد المعيارية إلى آفاق النص الإبداعي، د. رحمن غركان دار الرائي العربي للدراسات والترجمة والنشر،دمشق-سور يا ط٨،٢٠٠١م، ١٢٩.
(٢) النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق ، عدنان بن ذريل، منشورات اتحاد كتاب العرب،٢٠٠٠م، ٢٠.

من أدلّة عديدة على إثبات المصدر الربانيّ للقرآن))[1]. فيجمع الخطاب القرآني بذلك بين براعة البيان والنظام البديع المتقن، والمحتوى المتفرّد الهادف، فيتخطى حاجزي الزمان والمكان، ويحتفظ بتميزه وفائدته أبداً وعلى مر العصور.

المبحث الرابع: البنية الحقيقيّة والمجازيّة :

ورد ان المجاز على وزن مفعل، من جازَ الشيء يجوزه إذا تعدّاه، وإذا عدل باللفظ عمّا يوجبه أصل اللغة، وصف بأنّه مجاز على معنى أنّهم جازوا به موضعه الأصليّ، أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً[2] .

بينما اصطلح على المجاز بانه اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب لعلاقة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعيّ[3] .

ومن أمثلة المجاز في خطاب الجنَّة والنَّار قوله تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ**)[البقرة: ١٧٤].

(ما يأكلون في بطونهم إلّا النَّار) فالعبارة كلها مجاز مرسل المسببية. فأولئك الذين كتموا ما أنزل الله من أمر النبيّ محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، إنّما لا يأكلون النار على وجه الحقيقة بل طعاماً ولكن طعامهم هذا

(١) إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، د.صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمار للنشر والتوزيع،عمان،ط١،٢٠٠٠م، ٦٦.
(٢) ينظر: الدليل إلى البلاغة وعروض الخليل، علي جميل سلوم، دار العلوم العربية، بيروت، (د.ط)١٢٦،١٩٩٠.
(٣) ينظر: جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، دار المعرفة، بيروت،(د.ط)(د.ت)،٢٨٥.

مسبب لأكلهم النار(المجاز) ذلك أنّ طعامهم في هذه الحياة الدنيا مصيره أنه سيكون ناراً من نار جهنم المعدّة لهم في الآخرة. والقرينة المانعة (يأكلون في بطونهم).

يتكرّر هذا المجاز المرسل والعلاقة أيضاً مسببية. لكن مع آكلي مال اليتامى. قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا)[النساء:١٠].

(إنما يأكلون في بطونهم ناراً) وهم يشتركون مع المجاز السابق بالمصير الواحد، والمآل الحتميّ وهو النار؛ فالذين كتموا أمر النبي ﷺ في الآية السابقة، ومن يأكلون مال اليتامى في هذه الآية كلاهما طعامه في هذه الحياة الدنيا، سيستقرّ في أحشائه ناراً في جهنم المعدة لهم في دار الآخرة. وهم لا يأكلون النار على وجه الحقيقة، لأنّ النار لا تؤكل، ولكن يأكلون (مال اليتيم) (يشترون به ثمناً زهيداً) أي في الحالتين يأكلون مالاً حراماً، وهذا مسبّب في مآلهم في النهاية إلى النار فالعلاقة مسببية، والقرينة المانعة (يأكلون في بطونهم).

المقصود بالذين يكتمون ما أنزل الله هم ((أحبار اليهود، غطّوا أمر محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) ،وكتموه عن الناس،مع علمهم بنبوّته ووجودهم صفته في كتبهم))[1]

والمجاز المرسل الذي يعبّر فيه الخطاب الإلهيّ عن عاقبة أكل المال الحرام، وأموال اليتامي يحمل طاقة إيحائية وتأثيرية كبيرة، فكان

(١) تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز البحوث الدراسات العربية والإسلامية بدار هجر،(د.ط)(د.ت)٢٦٢/١.

بإمكان الذكر الحكيم أن يقول إنّ من يأكل المال الحرام سيدخل النار بتعبير تقريري بسيط ،ولكنّه يبهرنا بهذا التركيب(يأكلون في بطونهم ناراً) لتغدو النار التي لاتؤكل على الحقيقة طعاماً لأولئك سيأكلونه حقيقة في أحشائهم ناراً هم وقودها. وفي براعة التركيب والجمع بين ألفاظ متباعدة في الحقول الدلاليّة، وصهرها في علاقة جديدة،في هذا أيضاً تكمن جمالية هذا الخطاب وإعجازه.

إن ألفاظ القرآن الكريم جاءت في مكانها لتؤدي المعاني المقصودة التي أرادها تعالى ، يقول الباقلاني: ((فجماليّة الألفاظ في انتقائها، واختيار موقعها من الجملة القرآنيّة، ووضع كلّ نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فضول الكلام موضعه الأخصّ الأشكل به الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه: إمّا تبدّل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإمّا ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة))[١]

وقد احتفظ الخطاب الإلهيّ برونقه في التعبير، وقوة الأداء للمعاني، وتوليد الدلالات دون أن تؤثر فاعلية البيان وبلاغته على المعنى المراد، ووظيفته، وهدفه أو العكس، فالتوازن بينهما والاحتفاظ بكليهما على مدى المساحة القرائية للخطاب، ونظامه هو أمر بديع و مدهش حقاً.

وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس،فإنّك لاتسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولامنثوراً إذا قرع السمع خلص له القلب من اللذة والحلاوة في حال من الروعة والمهابة مايخلص منه إليه،تستبشر به النفوس،وتنشرح له الصدور[٢]، هذا نلمسه مع الآيات التي تذكر

(١) إعجاز القرآن،١٦.
(٢) الأثر النفسي للقرآن الكريم دراسة وتحليل، ٤٨.

الجنَّـة ولكـن فـي المقابـل نجـد أنـه إذا مـاقرأت آيـات عـن النَّـار تلقـى الـنفس عـادة((مرتاعـة قـد عراهـا الوجيـب والقلـق، وتغشـاها الخـوف والفـرق تقشـعر منـه الجلـود،وتنزعج لـه القلوب.يحـول بـين الـنفس ومضمراتها وعقائدها الراسخة فيها))[1]

ممَّـا يلفـت الانتبـاه فـي خطـاب الجنـة والنـار أنّـه غالبـاً مـا يسـتند إلـى جانـب البيـان وألوانـه علـى الأسـلوب التقريـري المباشـر، وتكثـر الآيـات التـي يصـف فيهـا الجنـة والنـار، وأحـوال أصـحابها والأحـداث، والحـوار بينهم بلغة بسيطة تقريرية مباشرة.

لنتأمّـل الآيـات القرآنيـة فـي قولـه تعـالى :(**وَالَّـذِينَ آمَنُـوا وَعَمِلُـوا الصَّـالِحَاتِ أُولَـئِكَ أَصْـحَابُ الْجَنَّـةِ**)[البقـرة: ٨٢].(**مَـنْ عَمِـلَ سَـيِّئَةً فَلَـا يُجْـزَى إِلَّـا مِثْلَهَـا وَمَـنْ عَمِـلَ صَـالِحًا مِـنْ ذَكَـرٍ أَوْ أُنْثَـى وَهُـوَ مُـؤْمِنٌ فَأُولَئِـكَ يَـدْخُلُونَ الْجَنَّـةَ**)[غـافر: ٤٠]. (**أُولَئِـكَ أَصْـحَابُ الْجَنَّـةِ خَالِـدِينَ فِيهَـا جَـزَاءً بِمَـا كَـانُوا يَعْمَلُـونَ**)[الأحقـاف:١٤].(**إِنَّ الْمُـتَّقِينَ فِـي جَنَّـاتٍ وَعُيُـونٍ**)[الـذاريات:١٥] (**إِنَّ الْمُـتَّقِينَ فِـي جَنَّـاتٍ وَنَعِـيمٍ**)[الطـور:١٧](**جَنَّـاتُ عَـدْنٍ يَـدْخُلُونَهَا وَمَـنْ صَـلَحَ مِـنْ آبَـائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِـمْ وَذُرِّيَّـاتِهِمْ**)[الرعـد:٢٣] (**إِنَّ لِلْمُـتَّقِينَ عِنْـدَ رَبِّهِـمْ جَنَّـاتِ النَّعِـيمِ**)[القلـم:٣٤]. (**يُبَشِّـرُهُمْ رَبُّهُـمْ بِرَحْمَـةٍ مِنْـهُ وَرِضْـوَانٍ وَجَنَّـاتٍ لَهُـمْ فِيهَـا نَعِيمٌ مُقِيمٌ**)[التوبة:٢١].

(١) الجامع في بيان إعجاز القرآن ٧٠.

يجمع بين الآيات السابقة جميعها فكرة رئيسية واحدة، تشكّل قوام الآيات، ورسالتها الموحَّدة المكررة في مواطن مختلفة من الخطاب الإلهيّ، وهي أنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات، والمتقين لهم الجنة. وهي حقيقة عبّر عنها الخطاب الإلهيّ بلغة الحقيقة، وبأسلوب التقرير، والإخبار المباشر المؤكّد عبر أدوات التوكيد، وعبر آليّة التكرار المعتمدة هذه.

ولا غرو بعد هذا البيان أن يترك القرآن أثره في النفوس وأن يجتذب النفوس الكافرة إلى الإيمان وهذا ما ينماز به القرآن الكريم عن أي كتاب في العالم(١) .

ولاعجب فهو الكلام الذي لا مثيل له، ولم يعرف في تاريخ البشرية أن كلاماً قارب القرآن في قوة تأثيره في العقول والقلوب. (٢)

وكذلك في وصف الجنَّة التي أعدت للمتقين والمؤمنين يعتمد الخطاب الإلهيّ الآليّة عينها في كثير من الأحيان، وما أكثر الشواهد على ذلك ومنها الآيات التي تؤكّد على أنّ هذه الجنّات تجري من تحتها الأنهار، ولايخفى مالحضور الأنهار من إشارة إلى الحياة، فمن الماء خلق سبحانه كلّ شيء حيّ.

ولذلك يلحظ الخطاب على ذكر هذه الصفة في مواضع متفرقة، وبأسلوب التقرير والإخبار ذاته: (إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

(١) ينظر: في ظلال القرآن ، سيد قطب، دار الشروق، ط٣، ٢٠٠٣م، ٢٣٩/١.
(٢) ينظر: تفسير المنار: ٢٠٤.

الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)[محمد:١٢].(لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)[الفتح: ٥]

(وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)[التوبة:٧٢]،(أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ)[الكهف:٣١].

وهذا الوعد سيحدث في زمن الأبدية الذي تمتد فيه حياة الإنسان إلى مالانهاية وعندئذ يتحدد المصير النهائي؛فيرتبط الزمان الأبدي بالمكان الممتد الواسع،سواء أكان جنة أم ناراً[1] .

نلاحظ الإلحاح على الفكرة عبر تكرارها، وبثّها في مواطن متفرقة. يعتمد في تقريرها أسلوب مباشر، يخبرنا فيه الخطاب الإلهي في آياته الكريمات أنّ الجنَّة الموعودة هي جنَّة تجري من تحتها الأنهار. ماء غير آسن ماء لامثيل له البتة: (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ)[محمد:١٥]. هي جنة عرضها السموات والأرض: (سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)[الحديد:٢١]. جنة عالية: (فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ)[الغاشية:١٠].(فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ)[الحاقة: ٢٢]. فيها الحرير والاستبرق وكلّ مايشتهي المؤمن في متناول يده:(مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ

(١) البناءات الجمالية في النص القرآني، ٢٨.

)[الرحمن:٥٤]. (وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا)[الإنسان:١٢]. وفيها مايشتهون من حلي من ذهب ولؤلؤ:(جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا)[فاطر:٣٣]. إنهم منعمون مترفون(إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ)[يس:٥٥].

وهي بالطبع ليس متاحة للجميع إلا من أنعم عليه الله سبحانه برضاه:(أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ)[المعارج:٣٨]. هي لمن وعد الله تعالى هي لعباده الصالحين المؤمنين المتقين.(رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ)[غافر:٨]. (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ)[النساء:١٢٤] .

هذا الخطاب منظّم ومقصود. ويتجلّى التنظيم عند التلفظ بالخطاب في ما يسمى باستراتيجية الخطاب وهذا يعني أن الخطاب المنجز يكون خطاباً مخططاً له،بصفة مستمرة وشعورية.ومن هنا يتحتم على المرسل أن يختار الاستراتيجية المناسبة التي تستطيع أن تعبَّر عن قصده وتحقق هدفه(١).

وهذا الأسلوب التقريريّ الإخباريّ المباشر، والوصف الحسيّ يعتمده الخطاب الإلهيّ في الحديث عن النار أيضاً.

(١) ينظر: إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب المتحدة، بيروت-لبنان، ط١،٢٠٠٣م ،١٠١.

فالنار وعد الله للذين كفروا وعملوا السيئات والمنافقين(قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا)[الحج: ٧٢]. (وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا)[النساء:١٤]. والتركيز على الخلود(خالداً)(دار الخلد). وهنا ندخل في إطار الزمن في بعده المسيطر على الإنسان والحياة، اذ لايكون بمقدور البشر التأثير على حركته والتحكم في وحداته،وإنما يمضي حسب القانون الكوني الذي وضعه الله تعالى،وبذا يكون الزمان هو الإطار الذي لايمكن للإنسان أن يتحداه أو يخترق قوانينه(١).

(وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا)[النساء:٣٠].(أَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا)[النساء:٥٦].(وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ)[التوبة:٦٨]. وللزمن النحوي وظيفة في السياق يؤديها الفعل والفعل الماضي صيغة فعل تفيد وقوع الحدث في الزمن الماضي(٢). (وعد) هنا أفادت حدوث الفعل في الماضي وثباته واستقراره.

يكرّر هذا الوعيد في مواطن عدة، ويلجأ الخطاب الإلهيّ إلى التقرير والمباشرة لوصف حال أهل النَّار، والحق أنّه الأسلوب الأنسب لهذا المقام لما فيه من تفاصيل عن عذابهم، تحتاج التقرير، وحقيقة تحتاج لتوكيدها عبر الحسّ مباشرة: (لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ

(١) البناءات الجمالية في النص القرآني ،٣٢.
(٢) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط٣، ١٩٩٨ ،٢٤٢.

وُجُوهِهِمُ النَّارَ)[الأنبياء:٣٩].(تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ)[المؤمنون:١٠٤].(وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ)[السجدة:٢٠]. (يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ)[الأحزاب:٦٦]. (وَتَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ)[سبأ:٤٢].(هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ)[ص:٥٩].(وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ)[القصص:٤١] يذوقون ألوان العذاب ويسقون ماء حميماً(كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ)[محمد:١٥]. ويصَّور لنا القرآن الكريم كيف يتخاصم أهل النار،وكيف يلقون اللوم على من اتبعوهم وأضلوهم: (إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ)[ص:٦٤]. ويتحاجون (وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا)[غافر:٤٧] (إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ)[غافر:٤٧]. (رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ)[لأعراف:٣٨]. يحاولون عبثاً دفع العذاب:(وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا)[غافر:٤٩].(هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ)[الطور:١٤].(يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ)[القمر:٤٨].(أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ)[الواقعة:٧١].

إن الترتيب المتعاقب للزمن في الخطاب لايهدف إلى بناء حكاية تقليدية،إنما يهدف إلى تكوين حالة متوترة، لاتولي للترتيب الزمني أهمية كبيرة،إنما تجمع المشاهد والمواقف لتكشف الحالة النفسية(١).

وهذا اللون من التعبير المطوَّل عن العذاب، يتناسق مع الأصول الفنية ومع الأغراض الدينيّة، لأنَّ حضوره أمام المخيلة أشد إثارة للحس وترويعاً للنفس،وذلك غرض فني وغرض ديني يلتقيان،كما هو معهود دائماً في صور القرآن(٢).

وهذا العرض المفصَّل للجنَّة والنَّار وأحوالهما له غايته الدينية، فعرض الجنَّة بمغرياتها، والنَّار بعذابها وأهوالها إنَّما يهدف للوصول إلى نتيجة حتميّة هي أنَّه لاسبيل للمقارنة بين المصيرين فالجنَّة خير مقام ونزل ومن نالها قد فاز:(**فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ**)[آل عمران:١٨٥].

والموازنة بين الطرفين تكثر في خطاب الجنَّة والنَّار :(**وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**)[الأعراف:٤٧]. (**أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)[فصلت:٤٠]. بالطبع لا يستوي أصحاب الجنة وأصحاب النار:(**لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ**)[الحشر:٢٠].

(١) ينظر: البنية السردية في رواية أنت منذ اليوم،عبد الله إبراهيم، الأقلام، العدد ٥ ١٩٩٣,٨٦،.
(٢) الصورة الأدبية في القرآن الكريم،د.صلاح عبد التواب، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة، ط١،١٩٩٥م،.١٣٨

كل هذا يعرض أمام المتلقي لغاية أنْ يختار من الآن في حياته الدنيا مصيره قبل فوات الأوان. تماشياً مع مبدأ العدالة الإلهية بعد هذا الترغيب والترهيب، وتحميل الإنسان بعد هذا كلّه مسؤولية أعماله ومصيره، والحق((إن الإرادة أو الاختيار الحر عند الإنسان هو ما يتناسب عقلاً مع مبدأ الثواب والعقاب الذي قامت عليه الدعوة القرآنية في خطابها،وهذا مايتفق أيضاً مع مبدأ العدل وينسجم أيضاً مع الحكمة-عدم العبثية- في الخلق والتكليف التي أكدها الباري عزّ وجلّ في كثير من آياته البينات))[1].

قال تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ)[البقرة: ١٦٧].

المعنى بقوله تعالى : (وقال الذين اتبعوا) هم الذين تبرءوا منهم: ساداتهم الذين اتبعوهم(لو أن لنا كَرَّة) يعني رجعة إلى الدنيا. وقوله تعالى(فنتبرَّء منهم) فالتبرء والانفصال واحد،ومنه برئ من مرضه: إذا انفصل منه بالعافية،ومنه برئ من الدين براءة: وبرئ الله من الخلق.

وقوله(ويريهم الله أعمالهم حسرات عليهم) وذلك لانقطاع الرجاء من كل واحد منهما.وقيل أيضاً كما أراهم العذاب يريهم أعمالهم حسرات عليهم.وذلك لأنَّهم أيقنوا بالهلاك في كل واحد منهما. والأعمال التي يرونها حسرات قيل فيها ثلاثة أقوال:

(١) الخطاب القرآني، أحمد محمد النمر، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠٠٣م، ١٢٣.

أحدها: المعاصي يتحسرون عليها لمَ عملوها.

والثاني: الطاعات يتحسرون عليها لمَ لم يعملوها.وكيف ضيعوها.

والثالث: الثواب فإن الله يريهم مقادير الثواب التي عرضهم لها لو فعلوا الطاعات فيتحسرون عليها(١) .

قال تعالى: (إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِيْنَ وَالْكَافِرِينَ فِيْ جَهَنَّمَ جَمِيْعاً)[النساء: ١٤٠].

وقد عطف هذه الطائفة على الطائفة الثانية لما بينهما من الصّلة والترابط في الكفر بينما قطع الثانية عن الأولى لما بينهما من التباين والاختلاف(٢) .

يعرض الله تعالى في خطاب الجنة والنار كما قلنا أحوال الفريقين بالتفصيل بغية التفكر والتأمل.

وهكذا تنوّع خطاب الجنَّة والنَّار بين ألوان البيان والأسلوب الإخباري التقريري المباشر، ولكلّ موقعه المناسب له ، والذي يتناسب مع السياق،ومقام الحال،والموضوع المطروح.

(١) التبيان في تفسير القرآن، مج٢، ٦٧،-٦٩.
(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن،٨٨.

الفصل الثاني

الأداء التركيبي في بلاغة خطاب آيات الجنة والنار

توطئة :

تظهر قيمة الألفاظ ضمن السياق ، وتأخذ معناها الذي قد يكون جديداً عليها ، فالسياق هو التركيب الذي يحدد تناسق الدلالة ، وهذا ما تناولته نظرية النظم للجرجاني في دلائل الإعجاز ، إذ أفرزت قضية مهمة للغاية وهي أنَّ النظم والتأليف لا يكون حتى تتعلق الألفاظ بعضها ببعض، ولقد حذر الله تعالى من ناره كما دعا إلى جنته ، ولذلك فإننا نرى خطاب الجنَّة والنَّار متكرراً ، وقد كان لهذه الخطابات المتنوعة التي اختلفت بتنوع الموقف وتغيرت معه كان لها معانٍ متعددة في ضوء علم البلاغة العربية[1] ، ولا شك بأن الخطاب له اثر في صوغ المعنى والتأثير في نسيج الآيات اللغوي والتركيبي ، ((إن أبرز شيء في إعجاز القرآن هو ما يظهر فيه من الفصاحة والبلاغة والبيان ، وروعة المعاني ودقَّة انسجام الألفاظ في مبانيها ، وتنسيقها تنسيقاً يتناسب مع عذوبة الأسلوب والجودة في المعنى ، ثم إحكامها في الربط بحيث تستولي على مشاعر السامعين لهذا القرآن الكريم))[2] ، وهو كلُّه يتوافق لفظاً وموسيقى في أساليب علم

(١) ينظر: تصنيف أساليب التشبيه في سورة البقرة وأغراضه، محمد عارف مصطفي، الجامعة الإسلامية الحكومية بجوروف بغكولو إندونيسيا، ٢١٠ .

(٢) الإعجاز في نص الخطاب القرآني، د. عصام العبد زهد، مؤتمر النص بين التحليل والتأويل والتلقي (المنعقد ٤-٦ أبريل ٢٠٠٦م) ، ط١ ، الجامعة الإسلامية – كلية أصول الدين ، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م ، ٧.

المعاني نظراً لأهمية أسلوب صوغ الخطاب في تحديد المعنى والكشف الأعمق عنه ، إن علم المعاني له اثر كبير في تحديد المعاني ، وفي تحويلها أحيانا عن معناها كلياً أو جزئياً ، أو إضافة معانٍ لها أخرى لم تكن موجودة في أصلها المعجمي، والإنشاء والخبر من أساليب علم المعاني ، ولها معانٍ بلاغية كبيرة ، وهو من أهم أساليب علم المعاني في التعبير عن جمالية اللغة ومرونتها، فمعنى الجملة وجماليتها لا يقوم على اللفظ الواحد بل يقوم على تراتبية اللفظ في سياقه وعلى أسلوب الجملة ، وكل تحريك للفظ من مكانه يؤدي معنى ما ، ويعني شيئا أو يضيف شيئا للمعنى الأساس وطريقة قول الجملة كذلك، وبذلك يكون اسلوب التعبير من أهم الأشياء في تحريك المعنى وإضافة أشياء عليه بتراكمية جمالية ما، ذلك أن كيفية النطق والترتيب للألفاظ تعني معنى ما، لأن السياق هو ما يحكم المعنى ومعنى السياق ، ووجود الجملة وطريقة التعبير فيها وموقعها من باقي الجمل ، وبذلك يصبح التعبير سواء أكان بالأسلوب الخبري أو الإنشائي صاحب معنى مهم جدا في السياق أو هو جزء مهم منه ، وبالتالي من تركيب جمالية اللغة ، وهذا ما سنحاول تبيانه فيما سيأتي .

المبحث الأول

بلاغة الخطاب في احوال الجملة الإنشائيّة:

أولاً: الإنشاء

فالانشاء لغة، يتصل بمادّة (ن ش أ) ومفادُه: الخلقُ، و الابتكارُ ،والابتداءُ، والارتفاع[١] .

والإنشاء في اصطلاح اللغويين والبلاغيين هو مالايخضع لمعيار التكذيب والتصديق: ((أمّا الإنشاء فهو ما لايصحّ أن يقال لقائله: إنّه صادق فيه أو كاذب.لأنّ المتكلّم لايخبر عن شيء، بل يطلبُ إيجادَ معدوم))[٢]

والإنشاء كما يقولُ القزوينيّ ((ضربان: طلب وغير طلب. والطلب يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب لامتناع تحصيل الحاصل))[٣]

أ ـ الإنشاء الطلبيّ:

الطلبُ لغةً:

يقول ابن فارس: ((الطاء واللام والباء أصلٌ واحدٌ، ويدلّ على ابتغاء الشيء، ويُقال: طلبتُ الشيء أطلبه طلباً، وهذا مطلبي، وهذه طِلبتي، وأطلبت فلاناً بما ابتغاه، أي : أسعفته به، ولربّما قالوا

(١) لسان العرب، مادة نشأ: ١٧٠/١
(٢)علم المعاني، أحمد محمود نخلة، دار العلوم العربية، بيروت (د.ط)،١٩٩٠م،٨١.
(٣)الإيضاح في علوم البلاغة، ١٣.

أطلبته: إذا أحوجته إلى الطلب، وأطلب الكلأ: تباعد عن الماء حتى طلبه قومه))[1].

وأشار ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) بقوله: ((ثلاثة لا يدخلها الصدق والكذب وهي الأمرُ والاختيار، والرغبة، وواحدة يدخلها الصدق والكذب وهي الخبر))[2] ، والإنشاء الطلبيّ مثل غير الطلبيّ لايخضع للتصديق والتكذيب.

أولاً : الاستفهام :

وقد يستخدم الاستفهام للدلالة على التوكيد ، أي لتوكيد وتثبيت وتضخيم معنى ما ، والاستفهام طلب العلم بالشيء وفهمه ، ومن أدواته (هل والهمزة ومتى وأين وكيف وغير ذلك) ، وأدوات الاستفهام قد تخرج عن معانيها الأصلية على سبيل المجاز[3] وقد يفيد الاستفهام كثيرا من المعاني البلاغية من مثل التهديد والاستحقار والتعظيم والاستبعاد والتعجب والتهديد[4] ، ومن ذلك قوله تعالى في آية تتحدث عن أصحاب النار :(وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)[فصلت ٢١]

فالاستفهام هنا يحمل معنى الخوف وانفعال المعذبين ، ويؤكده إنَّ اتساع أساليب علم المعاني كبير وصعب على الإحاطة ورغم فصلنا

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون ،دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٩١م، ٤١٧-٤١٨.
(٢) أدب الكاتب، ابن قتيبة، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر ط٤، ١٩٦٣م،٤.
(٣) ينظر: علم المعاني في البلاغة العربية، ٩٥
(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٩٥.

إلا أن الأساليب متداخلة بشكل كبير لتعطي المعنى متراكبة مكثفة ، وفي التنكير والتعريف نلاحظ أن كلمة (طيبات) جاءت نكرة ، وهذا التنكير أتى في موضع داعم لمعنى التنوع والانفتاح والقوة لهذه الطيبات غير المحددة والمتنوعة كثيرة الغنى ، فـ ((التنكير كما هو معروف فاتح للدلالة))[1]، وهذا بالضبط ما سمح لكلمة (طيبات) أن تنطلق في ذهن المتلقي بكامل قوتها ، معبَّرة عن الخلق العظيم لخالق أعظم .

إن غلبة أساليب الإنشاء على الآية توحي بالقّوة ، والوصول إلى الجانب العاطفي لدى المتلقي لأنَّه ينفعل بشكل ما تماشيا مع ما يثيره الأسلوب الإنشائي عادة في نفس المتلقي من عاطفة وفورة ، ووجود فعلين من أفعال الأمر في الآية يعبّر عن مدى الحث الذي كان على شقين : الافادة والشكر ، و أن أسلوب النداء الإنشائي في الآية يوحي بعظمة وأهمية الأمر المطلوب والمنبّه عليه ، وكذلك أن التخصيص الكبير من خلال أداة النداء والاسم الموصول يوحيان بلصوق صفة الإيمان وتلازمها مع الافادة والشكر ، وهو يختار الفعل الماضي للتعبير عن الإيمان (آمنوا) للدلالة على أنَّ الخطاب يتوجه للمؤمنين فقط ، وهو ما يشجع السامع على فعل المطلوب ليغدو من المؤمنين أو بكلام آخر يشجع المؤمنين على فعل الاستفادة والشكر كي يحافظوا على هذا الإيمان وهي المرحلة التي يتمناها كل مسلم .

---

(١) التأثيرات الأسلوبية في الكلمات العربية ضمن النصوص النثرية، سمير الساحلي عبد الإله،(د.ط)(د.ت) ٤٦.

ونلاحظ أن الآية الكريمة فيها تقديم للضمير المفعول به (إياه) ، وهذا ((التقديم إنما يأتي للتعظيم والتقديس والتخصيص))[1]، بالإضافة إلى أنه يناسب كون العبادة نتاج الذات الإلهية لأنَّه الخالق والمستحق للعبادة وبعدها ومن أجلها كانت العبادة ، والأسلوب يضيف قوة إلى المعنى فمثلا في قوله تعالى :(**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ**)[البقرة ٢١٤] .

والخطاب هنا خطاب تلقين وتعليم ونرى أن الأسلوب قد أضاف العتب أو التوبيخ أو التوكيد ، وهذا المعنى مستفاد من صيغة الاستفهام التي تفيد التوكيد في الواقع وليس السؤال .

ثانياً: النداء:

تدل الصيغ والأساليب المتنوعة على معان متنوعة في الخطاب القرآني الذي لم يكن دقيقا فقط في تخير الكلمات ضمن سياقها النصي ، بل كان أيضاً دقيقاً في اختيار الأساليب المعبرة عن المعنى والمدعمة للمعنى المراد من الآية الكريمة ، ففي قوله تعالى : (**وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ**) [البقرة ٣٥] .

ونلاحظ هنا النداء ، و((هو أسلوب مخاطبة البعيد ولفت انتباهه ، ويكون بالأدوات يا : للبعيد ، و (أ – وا ، وغيرها) ، ويفيد المعاني المتعددة حسب السياق منها التعظيم والتفخيم أو التحقير أو التحبب))[2]،وهنا الخطاب جاء بالأداة (يا) التي : كثر استعمالها

(١) التأثيرات الأسلوبية في الكلمات العربية ضمن النصوص النثرية، ٢٢٤

(٢) النداء في اللغة العربية (دراسة تطبيقية على القرآن الكريم)، فهد الصالح، دار السمهري العربي، سورية، طرطوس (د.ط)، ٢٠٠١ م ، ٢١ .

في الخطاب القرآني لحكمة بيانية وهي أن "الياء" أبلغ من باقي الأدوات لوجود الخصائص الآتية :

١- الياء هي الأداة الوحيدة التي يمكن أن تصلح لجميع مستويات الخطاب البعيد والقريب .

٢- النداء باليـاء يوجد الشعور بالفارق بين المخاطِب والمخاطَب فيُشعر بالمكانة والبعد بين الله سبحانه وتعالى والبشر المخاطبين .

٣- النداء بـ "يا" فيها من الطول في الصوت الذي يهيئ السامع لتنفيذ ما جاء بعدها من أمر أو نهي ، وهذا لا يوجد في (أي) أو (الهمزة)[١] .

وهو خطاب العين ، وذلك من خلال تخصيص شخص بذاته في الخطاب[٢]، وحدث هذا عندما خصص آدم بالخطاب هنا ، وهذا الخطاب الموجه للفرد هنا هو خطاب أتى في معرض تبيان مدى لطف الله تعالى مع عبده وتخصيصه له بالفضل وتسخير الجنة له.

جاء استخدام أسلوبين من أساليب الإنشاء وهو النداء (يَا آدَمُ) ، والأمر(اسْكُنْ) في تعميق المعنى وهو معنى العطاء والإحسان إلى العباد من قِبَل الخالق عزّ وجلّ ، ففي استخدام النداء تقرب[٣] من العبد ، وفي فعل الأمر دلالة سماح وقدرة وتعجيل ، وهو مايعبر عن حب الله تعالى لعباده وتسخير كثير من الأشياء ومن أهمها الجنة لهم والتعجيل لهم بالخير .

---

(١) الإعجاز في نص الخطاب القرآني، د. عصام العبد زهد، مؤتمر النص بين التحليل والتأويل والتلقي، (المنعقد ٤-٦ أبريل ٢٠٠٦م) ، ١٢ – ١٣ .

(٢)ينظر: أنواع الخطاب في القرآن الكريم، محمد أنس سومر، دار الدراسات الإسلامية الحديثة ، دمشق ، سورية ، ط٢، ١٩٩٩م ، ٢٨٨ .

(٣) ينظر: التأثيرات الأسلوبية في الكلمات العربية ضمن النصوص النثرية، سمير الساحلي عبد الإله ، دار الكتاب المفتوح، القاهرة ، مصر، ط٢، ٢٠٠٩ م، ٣١٧ .

ب ـ الإنشاء غير الطلبيّ:

فهو((ما لا يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب.أو هو مالايستلزم مطلوباً ليس حاصلاً وقت الطلب))[١].

فالإنشاء غير الطلبيّ إذاً كلام لا يحتمل صدقاً ولاكذباً لذاته، ومن أساليبه: صيغ المدح والذم، والتعجب، وصيغ العقود، والقسم، والرجاء[٢]

ومما جاء في خطاب الجنَّة والنار قولَهُ تعالى: (**فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيّاً**)[مريم:٦٨] فالإنشاء غير الطلبي في الآية هو أسلوب القسم فالله عزّ وجلّ يتوعّدُ مقسماً أنّه سيحشر المكذّبين مع الشياطين ويحضرهم إلى جهنّم وهذا الكلام لايمكن إخضاعه لمعيار الكذب والصدق لأنّه لايستدعي مطلوباً غير حاصلٍ وقت الطلب. ومنه قوله تعالى : (**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**)[العنكبوت :٥٨]

الإنشاء غير الطلبيّ في الآية يتمثّل في أسلوب المدح (نعم أجر العاملين) وهو كلام لا يخضع أيضاً لمعيار الكذب والصدق ، ولايمكن أنْ يقال لقائله كاذب أو صادق، ولايستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب. فالكلام إنشائيّ يخبرنا فيه عزّ وجلّ أنّ الجنّة نِعمَ المقام والمثوى الذي أُعدّ للمؤمنين .

(١) جواهر البلاغة، ٨٤.
(٢)ينظر: علم المعاني والبيان والبديع، ٦٦.

المبحث الثاني

أثر التركيب في بلاغة خطاب آيات الجنة والنار

أولاً – التقديم والتأخير:

يتنوع ترتيب الإسناد في الجملة ، والتقديم والتأخير له حضوره المؤثر في تركيب الجملة العربية ومتداول بكثرة ، وهو ليس أمراً تزيينيا فقط بل يفرز مجموعة من الدلالات السياقية المتأتية من طبيعة التركيب ودلالاتها ، قال تعالى :(**أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيْهَا ذَلِكَ الْخِزيُ العَظِيمُ**)[التوبة:٦٣].

إنّ جمال المعاني يتحقق بأمرين حسن تأليفها وتنسيقها وإصابتها للمعنى[١] ، وفي الآية الكريمة يشير الله عزّ وجلّ إلى حتميّة مصير من حادّ الله ورسوله؛ أي من شاقّ الله ورسوله، وكان لهما خصيماً وعدوّاً، وهو نار جهنّم. هذا المصير الذي ينضح بالخزي العظيم مقترن بالأبديّة، ممّا يضاعفُ هول ذلك المصير، ولات حين مندم. في الآية الكريمة يلجأ الخطاب الإلهيّ إلى الاتكاء على التقديم والتأخير، وهو هنا قدّم ماحقّه التأخير، وأخّر ماحقّه التقديم في (فإنّ له نارَ جهنّم) فالجار والمجرور (له) سبق اسم أنّ (نارَ) مراعاةً للسياق ،وهذا أدعى للتنبيه، وتثبيت فكرة تخصيص نار جهنم (له– لمن حادّ الله ورسوله) وحصرها فيه، وهذا الترتيب يخدم سياق الآية، والفكرة المراد تقديمها، وتثبيتها في ذهن القارئ، والتركيز عليها.

(١) ينظر: الصورة الأدبية في القرآن الكريم، ١٤.

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله تعالى: (قُلْ إِنَّ الخَاسِرِيْنَ الَّذِيْنَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيْهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الخُسْرَانُ المُبِيْنُ لَهُمْ مِنْ فَوقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ يَاعِبَادِ فَاتَّقُونِ) [الزمر:١٥-١٦]. الصنعة هنا إنما تمدّ باعها وتنشر شعاعها[١] ، وإنّ في طلب الأمر والنهي حمل المخاطب على المطلوب والتنبيه إلى سرعة الامتثال[٢]

فالاستراتيجيات التوجيهية التي تتجسد من خلال آليات صريحة تسهم في توجيه المرسل للمرسل إليه مثل أساليب الأمر والنهي الصريحين[٣] .

إنّ السياق يضطلع بأدوار كثيرة في التفاعل الخطابي،مثل تحديد قصد المرسل ومرجع العلامات[٤]، وإنّ اختيار الكلمات وترتيبها في الخطاب القرآنيّ لايأتي عبثاً البتة، فكلّه مدروسٌ بعناية، وموظّفٌ لغاية، يخدم السياق ويتواءم معه، فتندسُّ التراكيب في تضاعيف البنية الكليّة بانسجام تامّ مع باقي البنيات الأخرى. فالبنيات الصغرى تتفاعل مع بعضها وتحتلّ موقعها المعدّ لها خصيصاً، لتتماهى مع البنية الكليّة وترى أنّه دائماً ((يسري في جملة السورة اتجاه معين، وتؤدّي بمجموعها غرضاً خاصاً، كما يأخذ الجسم قواماً واحداً، ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد، مع اختلاف وظائفه

(١) ينظر: أسرار البلاغة، ٢٧٢.
(٢) أساليب المعاني في القرآن، السيد جعفر السيد باقر الحسيني، مؤسسة بوستان كتاب، ط١،١٤١.
(٣) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ٣٤.
(٤) المصدر السابق ،٥٤.

العضويّة))[١]. ونحن نتعامل مع النص باعتباره خطاباً يحمل في طياته وظائف ومقاصد سياقية[٢]

يوجّه السياق في الآية انتباه القارئ إلى فكرة رئيسة هي أنّ الخاسرين من خسروا أنفسهم وأهليهم، وهذا هو الخسران(المبين) أي الواضح الذي يراه الناس كلّهم لعظمته وهوله. يجري سياق الآية ضمن هذا الإتجاه ليرسم الأهوال التي تنتظر أولئك الخاسرين، وعلى أساسها باعتبارها مصيرهم بأنهم كانوا حقّاً خاسرين. فيذكّر الخطاب الإلهيّ أنّ لهم (من فوقهم ظلل من النار-ومن تحتهم ظلل من النار). يقدّم الخطاب هنا الظرف والجار والمجرور (من فوقهم – من تحتهم) على (ظلل) والتي حقّها التقديم لغاية ترتيب الكلمات في نسق مخصوص، يلائم السياق والجو العام للآية.فنلاحظ التركيب لهم (من فوقهم ظلل من النار) يعطف عليه (من تحتهم ظلل من النار) وكلاهما ينتهي (من النار) فآليّة التكرار الموظّفة هنا تخدم فكرة إحاطة النار بهم من كلّ جانب (من فوقهم) و(من تحتهم) يحاصرون بالنار ولامفرّ. يلفتنا هنا الكلمة المختارة (ظلل)،إذ أفاضت بدلالتها على السياق، وأغنت الدلالة العامة المقصودة التي تفيد إحاطة النار بالخاسرين.

والحقّ ((إنّ هناك فئة من الكلمات تتمتع بتعبيريّة داخليّة وطبيعيّة))[٣]. ومنها هنا في هذا الموضع (ظلل) التي تشكّل بؤرة دلاليّة تنضح بالطاقة التعبيريّة التي وظّفت بعناية في السياق. فالنار تحيط بالخاسرين، ولا أنسب من اختيار الظلّ للتعبير المقدّم هنا،

(١) النبأ العظيم، د. دراز عبد الله، دار القلم-الكويت، ط٧، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م ، ١١٥.
(٢) ينظر التداوليات وتحليل الخطاب، جميل حمداوي ،مكتبة المثقف، ط١ ،٢٠١٥م، ١٤.
(٣) الأسلوب والأسلوبية، بيير جيرو، ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنماء القومي، بيروت-لبنان،(د.ط)(د.ت)،٣٤.

فهي تظلّلهم، وتمدّ بظلّها هذا من فوقهم ومن تحتهم. يالبراعة الأسلوب القرآنيّ،ودقّته في اختيار الألفاظ وترتيبها. في ختام الآية يذكّر الله عزّ وجلّ أنّه يريد من هذا التوصيف المخيف والمرعب التذكير والتفكّر في العاقبة قبل فوات الأوان (ذلك يخوّفُ الله به عباده) (ياعبادِ فاتقونِ). فإنّما غاية الآية تكمن هاهنا في حثّ المتلقي إلى طاعة الله وتقواه، عبر ترهيبه من عاقبة الكفر والجحود التي ستودي به إلى فئة الخاسرين هاته والتي ستحيق النار بها وتظلّلها. وحريّ بالعاقل المتفكّر أن يجنّبَ نفسَهُ هذا المصير. وهكذا نجد كيف وظّفَ أسلوب التقديم والتأخير في خدمة السياق العام، وغرض الخطاب المخصوص عبر ترتيب متقن موظّف بعناية.

ونرى المعنى يرسم بدقة وبشكل عملي من خلال التأخير في قوله تعالى :(**وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ**)[البقرة ١٦٧]

فقد جعل النار مجرورة بـ (من) ، وجعلها في نهاية الجملة للإيحاء بصعوبة واستحالة هذا الخروج ، والإتيان بـ (من) هنا يوحي بعمق النار ، كما أن المسارعة بالنفي من أول الجملة توحي بانعدام الأمل . ناهيك عمّا أعطاه حرف الجرَّ الزائد الباء من توكيد للخبر وقوة في الخطاب[١] .

كما نرى مخاطبة الواحد بلفظ الجمع في قوله : (**بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ**)[البقرة ٨١].

وقد عبَّر هنا عنهم بلفظ مفرد للدلالة على أنَّ عملهم من حيث النتيجة واحد ، ولأنَّ فعلهم واحد من حيث الشناعة والتلبس بالخطيئة

(١) ينظر: التشكيل الصوتي في اللغة العربية فونولوجيا العربية ، د. سلمان حسن العاني: ٥٣

، وقد جاء الخطاب هكذا لتبيان أنَّ كلَّ فعل من هذا النوع والإصرار على الخطيئة ستكون له دوماً العاقبة نفسها وهي النار .

ثانياً- الذكر والحذف:

في البيان القرآني المعجز توازن دقيق بين ذكر الحرف وحذفه[1] ، وفي الخطاب القرآنيّ يجري اختيار الكلمات وحتى الحروف بعناية فائقة، وكلّ له وظيفته وفاعليّته التي لاغنى عنها ولابديل لها،فحين يذكر بعض الكلمات والحروف، ويحذف بعضاً ،فلكلٍّ هدف ووظيفة معيّنة، تخدم السياق والمعنى العام. قال تعالى:(يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ) [ق:٣٠] نلاحظ في الآية اعتماد آليّة الحوار (نقول وتقول) وما فيه من خاصيّة حركيّة بديعة، كما يلفتنا أنّ الخطاب الإلهيّ ذكر جهنَّم مرة هنا وفي موضعها الأنسب، وتخيّر عدم تكرارها بوصفها فاعل (تقول)؛ فلم يقل (وتقولُ جهنّمُ) بل اكتفى بالفعل (تقول) وفيه ضمير الغائب العائد عليها.

في حين ذكرها ليوضّح الطرف الآخر للحوار (ونقول لجهنّم) فالقول موجّه إلى جهنّم، وذكر جهنَّم في هذا الموضع عينه أدعى لبناء هيكليّة الحوار، ومضمونه في ذهن المتلقي الذي سرعان ماسيتخيّل مع (نقول) بداهة الطرف المُحَاور، وذكره هنا وهو (جهنّم) أكثر فاعليّة لخدمة هيكليّة خطاب الآية العام. ولأنّ حذف الفاعل(جهنّم) مع (تقول) أبلغ آثرا في الخطاب ، لبداهة أنّ جهنم هي من تقول، ولاداعي لإعادة ذكرها. وغالباً ((مايكون مدلول اللفظ في محل

(١) إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، ١٨٦.

السكوت موافقاً لمدلوله في محل النطق))[1]. والأمر عينه من فاعليّة الحذف نجده في قوله تعالى: (فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ)[النحل:٢٩]. فحذف جهنّم أيضاً في قوله(فلبئسَ مثوى المتكبّرين) لخدمة التنسيق والترتيب في سياق الآية، وهو حقّاً أبلغ، وأقوى أداء من ذكرها في هذا الموضع فلبئس جهنّم مثوى للمتكبرين/ وفيه عموم وإطلاق في الحكم، جعل الدلالة مرنة، وقابلة للاتساع لينضوي تحتها معان أوسع. فحذف جهنّم أفاد جعل الحكم مطلقاً وواسعاً ليشمل عموم مثوى المتكبرين سواء في الدنيا والآخرة. و أنّ ذكر جهنّم (فادخلوا أبواب جهنّم خالدين) قد أغنى عن ذكرها في التركيب التالي (فلبئس مثوى المتكبرين).

وقد رأينا ما حقق الحذف هنا من إبراز الجمالية في نقل المعنى بشكل رمزي وإيحائي ، ومختصر ، ممّا يترك آثاراً عظيمة في نفس المتلقي لأن الإيحاء كما نرى أقوى في بعض الحالات من المعنى المباشر .

قال تعالى: (يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ)[القمر:٤٨] ، إنّ الذوق في اللغة يفيد معنى الاختبار والذوق لغة هو ((اختبار الشيء من حبة تَطَعُّم))[2] .كما أنّ الذوق "معناه ((وجود الطعم في الفم والأصل فيه الإقبال على بعض الطعام في جزء قليل فيه فإذا زاد عن ذلك يقال له الأكل.....ويعبّر به عن الاختبار فيقال

(١) الإحكام في أصول الأحكام، ،سيف الدين علي بن أبي علي الآمدي، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٨٠م،٩٤/٢.
(٢) معجم مقاييس في اللغة، ١٠٩.

أذقتــه كــذا فــذاق))[1].لايخفــى مالاختيــار الفعــل (ذوقــوا) مــن فاعليّــة خاصّــة، وطاقــة تعبيريّــة وتأثيريّــة فــي ســياق الآيــة، ممــا اثــار ذهــن المتلقــي. ويبــدو للبحــث انّ المفعــول بــه(مسّ ســقر) مــا ســيذوقه المخــاطبون فــي الآيــة. وســقر هــي مــن أعلــى درجــات الجحــيم ((الــدرك الأســفل الهاويــة ....واعلــى الــدركات جهــنم ثــم لضــى ثــم الحطمــة ثــم السعير ثم سقر ثم الجحيم))[2].

فــذكر (ســقر) هنــا لــه بلاغتــه، وأثــره الكبيــر فــي خدمــة المعنــى، فقــد كــان بالإمكــان أن يقــول ذوقــوا العــذاب أو النَّــار، ولكنّــه آثــر ذكــر الدرجــة المعــدّة لهــم مــن جهــنّم والتــي ســتكون مقــامهم ومســتقرّهم إلــى أبــد الآبــدين. مـن بلاغـة الـذكر قولـه: (**يَـوْمَ تُقَلَّـبُ وُجُـوهُهُم فِـي النَّـارِ يَقُولُـونَ يالَيْتَنـا أَطَعْنَـا اللّهَ و أَطَعْنَـا الرَّسُـولَ**) [الأحــزاب:٦٦]، فقــد كــرّر الخطــاب الإلهــيّ الفعــل (أطعنــا) فــي جملتــين متتــاليتين، وكــان بإمكانــه أن يحذفــه فــي الثانيــة، ويكتفــي بــالعطف (أطعنــا الله والرســول) ليشــمل الحكــم فــي طاعــة الله والرســول عبــر حــرف العطــف (و)، ولكــنّ لتكــرار الفعل(أطعنــا)، وذكــره فــي الموضــع هــذا وظيفــة وغايــة وسّــعت دائــرة الدلالــة، لــتعكس بخاصــية التوكيــد التــي يفيــدها التكــرار معنــى التمنــي، والتحسّــر، والنــدم (ياليتنــا أطعنــا الله وأطعنــا الرســول) وتضــاعفه عبــر نقــل حالــة النــادم المتحســر الذي يفنّد ماصنعت يداه، ويندم على كلّ تفصيل.

(١) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، ضبطه وراجعه: محمد خليل عيتاني ، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط٣، ٢٠٠١م، ١٨٧-١٨٨.
(٢)تفسير القرطبي، ٤٢٥/٥.

إنّ ((في القرآن طاقة روحيّة ذات تأثير بالغ الشأن في نفس الإنسان))[1] ولأنّه((ثبت لدينا أنّ الإنسان خلق من بعدين مادي وروحي))[2] ، نرى القرآن يخاطب البعدين ويؤثر فيهما معاً. من جمال الذكر والحذف قال تعالى:(**وَالَّذِيْنَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمَقَامَا**)[الفرقان:٦٥-٦٦]

يحذف الخطاب الإلهيّ جهنّم في الموضع المناسب ويذكرها في المقام المناسب لتخدم المعنى، فالدعاء لأن يصرف الله العذاب وبإضافة (جهنّم) تحدد وتخصص أيّ عذاب،وحذفت واستعيض عنها بضمير عائد عليها(إنها ساءت مستقراً ومقاما) وحذف الفعل ساءت، وكان للتعبير أن يكون على النحو: (إنّ جهنّم ساءت مستقرّاً وساءت مقاما) ولكنّ الحذف كان أبلغ وأنسب للمقام،ولجو الآية وسياقها،وهذا دأب الخطاب الإلهيّ في الجنَّة والنَّار في توظيف آليّة الحذف والذكر.

وإذا تأملنا في الآية الكريمة المتحدثة عن المؤمنين في الدنيا والجنَّة: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ)** [البقرة ١٧٢] .

وهو هنا خطاب الجنس ، ونرى الخطاب هنا موجها للمؤمنين خاصة ، وهذا طبيعي نظراً لكوننا هنا نعالج الآيات المتحدثة عن الجنَّة التي تخص المؤمنين ، ونرى أن أسلوب الحذف هنا فتح المعنى

(١) الأثر النفسي للقرآن الكريم، ٩.
(٢)النص القرآني دراسة بنيوية، باب العياط نور الدين، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، الجزائر، ٢٠١٤- ٢٠١٥م،٢٠

((فالغرض عادة من أسلوب الحذف فتح الدلالة والمعنى))[1]وجعل الكلام أسلس وأكثر عمقا وتكثيفا ، وذلك من خلال حذف جواب إن الشرطية وذلك في قوله : (إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) ، والتقدير : إن كنتم إياه تعبدون اشكروه ، وذلك بسبب العلم الأسبق به من خلال السياق النصي القرآني ، فالقرآن الكريم يتجنب التكرار دون داعٍ ، ولا نجد في لغته حشواً .

تكررالحذف في الآية الكريمة وورد قبلاً بطريقة مختلفة عن طريق حذف المفعول به للفعل (كلوا) وهذه الكلمة تستلزم مفعولا به ، ولكنَّها أتت محذوفة غير معروفة أو محددة وذلك ما سمح للنص بالانفتاح على معانٍ شتى يتخيلها السامع أو القارئ ، وبذلك يتوسع المعنى ، فقد كان المعنى محددا فقط بـ (من طيبات) وبذلك تنفتح الدلالة لتشمل كلَّ طيَّب ، وقد أتت (من) هنا لتشير أنهم غير قادرين على أكل كل الطيب من جهة لاتساعه وضخامته ، وكثرته ، وللإشارة على قدرتهم على التخيّر، والتلذذ بما يلائمهم ، بينما كان فعل الأمر غير قاسٍ ، بل حاضاً ومشيراً إلى الحثَّ والسرعة والتوفر ، وبذلك تتعاون الأساليب والصيغ النحوية والبلاغية في تدعيم المعنى على مستوى العمق ومستوى الجمالية والتكثيف .

، ونرى أسلوباً آخر من أساليب علم المعاني يسهم في صوغ المعنى، ففي قوله تعالى :(**فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**)[البقرة ٢٤].

إن الحذف يفتح دلالات المعنى كما ذكرنا سابقاً ، وهذا الفتح يفيد تكثيف المعنى ، ودفع السائل إلى التمعن والتفكير ففي الآية السابقة يُذكر الاتقاء ، ولكنه لا يحدد بماذا ، بل يترك دون تحديد ، وهنا

(١) النص الأدبي وعلاقات التداخل البلاغي، ٣٢٧ .

الحذف أفاد الشمولية التامة ، ليشمل أقل الأشياء وأَضخمها و أن استعمال أسلوب الإنشاء هنا من خلال أسلوب الأمر يوحي بأهمية الامر وعظمته وضرورة السرعة في تنفيذه .

ثالثاً- التعريف والتنكير :

التعريف في اللغة: تعريف الشيء :تحديد مفهومه الكليّ بذكر خصائصه ومميزاته[١] ، والتنكير: نكّر الشيء غيّره حتى أصبح لا يعرف[٢] ، تدخل (ال) المؤثرة في التعريف على النكرة[٣] ،أو ما يقع موقعها مما يقبل (ال)[٤] ،فتفيدهما تعريفاً أو تعييناً وتزيل ما فيها من إبهام وشيوع[٥].

وهذا الأسلوب كغيره من أساليب اللغة يوظّف ببراعة وإتقان ودقّة، في مكانه المناسب من السياق ويخدم غرض الآيات، وهدفها ومعناها العام. ومن أمثلة ذلك نذكر قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وُقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لاَيَعْصُونَ اللهَ ما أَمَرَهُم وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ)**[التحريم:٦].

اما اذا امعنا النظر في الاية الكريمة نرى كيف اختيرت الكلمات بعناية، واستعمل التنكير في موضعه المناسب والتعريف كذلك. و تحضر النار بصيغة التنكير(ناراً)، وكان بالإمكان تعريفها أو تحديدها بأنّها نار جهنّم أو الجحيم أو غيرهما من درجات جهنم،

(١)لسان العرب، مادة عرف :٢٣٥/٩
(٢)المرجع السابق، مادة نكر : ٢٣١/٥
(٣)الأصول في النحو، ١٤٨/١.
(٤)المصدر السابق، ١٤٨/١.
(٥)الخصائص، ٣٩٥/١.

كعادة الخطاب الإلهيّ لكنّه آثر التنكير لغاية إطلاق الحكم وتعميمه، وهو أكثر فاعليّة في السياق هنا، لأنّ النار المقصودة هنا نار لانهائيّة ولامحدودة (ناراً) مطلقة، تستعر بلا هوادة تلتهم وقودها.

وهناك مسألة مهمة وهي أن التنكير يحقق أثراً أكثر من مسألة الوعيد في الآية المباركة ولولا هذا التنكير ماتحقق هذا المعنى المؤثر جدا في النفوس ، وهو هنا خُصِّص وحُدِّد (الناس والحجارة).

وللتعريف فاعليّته أيضاً فالنار المطلقة غير المحدودة إنّما وقودها الناس، وليس مطلق الناس إنما ناس مخصوصون ومحددون ومعرفون، وهم العاصون والمتكبرون والكفَّار وليس مطلق الناس وإلّا لقال ناساً أو بشراً. لاحظ عناية الخطاب الإلهيّ في إنتقائه للكلمات. كذلك يلفتنا استحضار الملائكة بصيغة التنكير(ملائكةٌ) وللغاية ذاتها فالنار المطلقة اللامحدودة تحتاج ملائكة غير محددة مثلها وغير محدودة أيضاً.

ورسمت الاية هنا صورة النار من أشياء معروفة لماهية غير مدركة وهي مسألة تصويرية بلاغية معجزة .

في حين تحضر المعرفة في قوله: (**الَّذِيْنَ تَتَوَفّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُم ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**)[النحل: ٣٢]. ذلك أنّ الملائكة هنا محددون يقصد ملائكة بعينهم هم الملائكة الذين تقبض الأرواح ، وإظهار قضية الوعد المكرر للمؤمنين وجعله بمنزلة المعرفة لديهم لتخفيف الإطمئنان النفسي عند المؤمنين ففي الخطاب القرآني هدف الترغيب في الجنَّة عندما عرَّف كلمة الأنهار ونكّر كلمة جنّات تجعل

المتلقي يتعدد في رسم الصور لتلك الجنَّات وكذلك التعريف في قوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ)[التحريم:٨]. فالأنهار جاءت بصيغة التعريف لأنّ المعنى المراد هو أنهار مخصصة بعينها ، وقد تكرر ذكرها في القران الكريم بوصفها انهار من عسل وانهار من لبن .....الخ ،وقد روي((أنّ أنهار الجنَّة ليست في أخاديد إنَّما تجري على سطح الجنة منضبطة بالقدرة حيث شاء أهلها))[١]. فليست أنهار الجنة كالأنهار التي نعرفها فهي معروفة بهذا الاسم ولكن لا يمكن تصورها ، وهكذا يغدو للفظة معنى آخر ، واللغة في القرآن ((تخرج من لغة الاستعمال إلى لغة الفهم وتكون بتركيبها المعجز طبقة عقلية في اللغة))[٢] ،وكذلك في قوله:(وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقُوا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ)[الزمر:٧٣].

جاءت (الجنة) بصيغة التعريف ممَّا أفاد معنى التخصيص والتحديد، فهي جنَّة بعينها أعدت للذين اتقوا ربّهم. فيما جاءت (زمراً) نكرة لغاية التعميم والإطلاق، وذلك يخدم المعنى المراد إذ هذه الزمر غير محدودة ،يمكنها أن تشمل زمراً جديدة تنضم إليها باستمرار، بحسب مشيئته تعالى إلى أن يدخلوها (فادخلوها) لينتهي بهم المطاف (خالدين). والحقّ أنّ ((اللذة المتأتية من جمال الطبيعة استقرارها

(١) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، ٢٧٧/١.
(٢)إعجاز القرآن، ٢٢٦.

يعتمد على تحقيق الخلود، فقد قيل أنّ عدم تحقيق الثبات في جمال الطبيعة في الدنيا أكثر شيء يدعو للحزن ويعد من ضروب عيوب جمالها))[1].

ومنه قوله تعالى:(أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ)[الأعراف:٤٩-٥٠]. فتنكير (رحمة) في هذا الخطاب جاء مطابقاً للسياق وهي جاءت بلسان الطاعنين بالرسالة وكلمة(رحمة) في هذا المقام لايعرفون حقيقتها لانهم لا يؤمنون بوقوعها .

و يستعمل التعريف والتنكير بعناية؛ كلمة(رحمةٍ) ونعلم أنّ التنوين قد عدّ علامة دالة على اسمية الكلمة[2] ، بل علماً دالاً على تنكيرها في الأصل المجرَّد[3] ، وهنا أفادت إطلاق الحكم أي تنفي جنس الرحمة أية رحمة لذا وردت نكرة، لكن الجنَّة جاءت معرفة (ادخلوا الجنَّة) أي أنها تكذيباً للمخاطبين هي معدة ومخصصة ومحددة . فيما جاء التركيبان (أصحاب الجنَّة) و (أصحاب النَّار) في تقابل يقسم الناس في ضفتين محددتين لاثالث لهما، لذا وردتا بالتعريف (النار والجنة).

(١) الإحساس بالجمال تخطيط لنظرية في علم الجمال، جورج سانتيانا، ترجمة: محمد مصطفى بدوي،المكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، ٢٦٦.
(٢) أسرار العربية، أبو البركات عبد الرحمن الأنباري، تحقيق: فخر قدارة ،دار الجيل،بيروت، ط١،١٩٩٥م،٣٤.
(٣) سر صناعة الإعراب، ٤٩٤/٢.

يطلب أصحاب النار من أصحاب الجنة (الماء) ولكنهم يجيبون أن الله حرّم الماء على (الكافرين) وجاءت بالتعريف لتفيد تحديد مجال التحريم والمؤطر بالكافرين. والجدير بالذكر هاهنا أنّ ((الحوار يأتي للعبرة بين المواقعات والأحداث ولايأتي لمجرد المتعة من الاستماع والقراءة))[1] ولايخفى ماأضفاه على جوّ الآية من حركيّة، وحياة تجعل الأحداث تتحرك وكأنّها تحدث في الحاضر، وأمام القارئ مما يضمن التأثر والانفعال من جهته، ويجعل الخطاب أشدّ وقعاً في نفسه.

قال تعالى :(**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ**)[البقرة ١٧٤ – ١٧٥]

إنّ تنكير كلمة ثمناً مع إضافة كلمة (قليلاً) لها توحي بالاستنكار والقلة الشديدة وعدم الأهمية ، وكذلك تنكير كلمة عذاب فهو فتح لها ولدلالتها على أنواع متعددة ، أمّا تعريف كلمات (الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ) فهو يدل على معرفتهم بهذه التجارة ، وبأفعالهم ، وإقدامهم على الفعل بمعرفتهم ومسؤوليتهم وبالتالي استحقاقهم للعذاب ، كما أن تقديم كلمتي (الضلالة والعذاب) على (الهدى والمغفرة) إيحاء حسي بفعلهم الذي قدّم هذه الأشياء عملياً ، لتنتقل الصورة بشكل ما إلى الحيز البصري وتغدو الصورة متشكلة أمام أعيننا بشكل

(١) من أساليب التعبير القرآني، طالب محمد اسماعيل الزوبعي، دار النهضة، بيروت ط١، ١٩٩٦م،٢٠٩.

ما ، كما أنّ تأخير كلمة النار بعد أسلوب (إلا) يدل على أهميتها من جهة ، وهو يسهم في خلق الصورة المفزعة ، ونوع من التهويل والتخويف والترقب لمعرفة هذا الطعام الذي هو النار.

وفي قوله تعالى : (يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)[البقرة ٢٥٧]

نرى أنّ كلمة ظلمات جمع في مقابل النور المفرد ، وهذا طبيعي نظراً لكون النور واحداً واضحاً ، بينما الضلال سبلها كثيرة ومتنوعة وتقع في مستويات وطرق وأساليب كثيرة ، ، ففي تعريف كل من النور والظلمات والنار توكيد وإثقال للمعنى ، لأن ((المعرفة بطبيعتها تعطي ثقلاً وقوة للكلمة))[١] ، ورغم أن أداة التعريف موجودة ففي الواقع نحن لا نعرف هذه الكلمات في مدلولاتها ومعانيها الدقيقة ولكن أولاً : القائل الخالق يعلم ، وثانياً : هناك إيحاء أو كناية مخفية بأن من يخرج من النور إلى الضلال هو عالم بهذا الإخراج وهو يعلم الضلال ومع ذلك فهو يتبعه .

رابعاً- الفصل والوصل:

الوصل : بمعنى العطف بين المفردات و الجمل في مواضعه المعروفة .

والفصل : بمعنى ترك العطف لشدة الالتحام والاتصال بين العبارات والجمل[٢].

(١) اللغة المخفية في النص النثري ، عبد الكريم حسن النايف سمران، دار الإخلاص ، طرطوس ، سورية ، ط١، ٢٠٠٣ م ، ١٠ .
(٢) المصدر نفسه، ١٠ .

ولهذا الأسلوب حضوره الفعّال في خطاب الجنة والنار.من أمثلته قوله تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيْهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِم تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيْمِ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)) [سورة يونس:٩-١٠].

اذا ما تأملنا سبك العبارات في الآية الكريمة وجدنا كيف رتّبت بما يخدم السياق، ونرى كيف وظّف الفصل والوصل في مكانهما الأمثل. (إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات) جمع الذين آمنوا وعملوا الصالحات في الحكم بحرف العطف الواو الذي يفيد اشتراكهما فيه بالقدر نفسه على السواء.

فالواو كما نعلم تفيد مطلق الجمع ومطلق الإشراك في الحكم[1] والحكم هنا هو (يهديهم ربّهم) وهنا تخيّر الفصل بل أتبع الجملتين السابقتين بحكمهما مباشرة وهذا تبعه (تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم) وهو أدعى لتوضيح مفهوم الحكم(يهديهم).

وتوضيح كنهه بأنّه جنات تجري من تحتها الأنهار. تلاه مباشرة (دعواهم فيها سبحانك اللهمّ) والفصل أنسب للمعنى، وأتمّ للمشهد فالمؤمنون والذين عملوا الصالحات يهديهم الله الجنة، وفور رؤيتها لابدّ أن يصيحوا فرحاً سبحانك اللهمّ شاكرين نعمته مبتهلين ثم يتخيّر الخطاب إتمام عباراته وربطها بحرف العطف(وتحيّتهم فيها سلام) و(آخر دعواهم أن الحمد لله ربّ العالمين). فالتسبيح هنا ((هو تسبيح الله أولاً وحمده أخيراً ويتخلل هذا وذاك تحيات بينهم وبين

(١) اللغة المخفية في النص النثري : ١٧.

أنفسهم وبينهم وبين ملائكة الرحمن))[1]. تعانق بين الدعوة وإشباع الحاسة الفنية وهذا شأن القرآن الكريم[2]

وقيل ((إن بعضهم يّحيي بعضهم بالسلام،وقيل هي تحية الملائكة إيّاهم،إضافة المصدر إلى المفعول،وقيل هي تحية الله إيّاهم))[3]((إنّ موافقة النسق هام جداً في تعيين الحرف))[4].

لنتأمل قوله تعالى: (**وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَه وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَه يَا لَيْتَهَا كَانَتِ القَاضِيَةَ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَه هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الجَحِيْمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعَاً فَاسْلُكُوهُ**) [الحاقة:٢٥-٣٢].

والواقع أنَّ لتنوع حروف العطف بين الآيات المتشابهات شأناً خطراً في القرآن الكريم سواء أكان اختلاف الحرف في داخل الآية ونسقها أم في بدئها[5] ، تتناسب العبارات والتراكيب مع الانفعالات التي يجري تصويرها والتي يراد إيصالها للقارئ. ويعمد الخطاب لتوظيف الفصل والوصل بإتقان، فكأنّما الكلمات والعبارات تجري على نمط الانفعال المقصود تصويره. وهنا تصوّر الآية انفعالات من سُلّم كتابه بشماله انطلاقاً من اللحظة الأولى وهي الندم على مافعل(ياليتني لم أوت كتابيه) ويعطف عليها بالواو، ((والواو مفهوم أساسي ذهني

(١) في ظلال القرآن،١٢٤/١١.
(٢) ينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، ط٧، ٢٠٠٥م، ١٢٣.
(٣) تفسير البغوي، الحسين بن مسعود البغوي، دار ابن حزم، ط١،٢٠٠٢م،٢ /٤٣١.
(٤) المرجع نفسه، ٢٨.
(٥) في بلاغة القرآن أسرار الفصل والوصل، ٣٣.

لاوجود له خارج الذهن))[1] (لم أدرِ ماحسابيه) ولكنّه يفصل (ياليتها كانت القاضية) وتتالى العبارات(ما أغنى عنّي ماليه)(هلك عنّي سلطانيه) متصاعدةً مع تصاعد الانفعال من لحظة الصدمة الأولى والندم ،ثم إدراك استحالة تغيير المصير وأنّ الندم لاينفع، لينتقل إلى الحسرة والعويل الذي يقتضي تواتر العبارات، وتواليها دون فاصل، تتماهى مع تواتر الانفعالات. ثم يجري مقاطعة هذا العويل والندم والحسرة على حين غرّة دون أن يترك له وقت لمتابعة الندم حتى ليأتي الفعل بصيغة الأمر مقاطعاً سيل العبارات السابقة (خذوه) واختار الفاء لربط (غلوه) معه ، وذلك يفيد عدم الإمهال، وتتابع الأحداث دون فاصل زمنيّ ((لأنّ الفاء للترتيب والتعقيب))[2].فهم سيأخذونه، فيغلونه مباشرة ،وبعدها يتراخى الزمن (ثم الجحيم صلوه) وهنا (ثم) جاءت في مكانها المناسب تفيد التراخي في الزمن، وبالتالي يتراكم معنى العذاب، وتتعاظم دلالته، فهو سيصلى الجحيم أمداً طويلاً، ومن بعدها سيؤتى بسلسلة ذراعها سبعون، يختار الخطاب حرف العطف المناسب ثم، وفي تراخٍ زمني يفيد المهلة، وكأنما تعرض أمامه على مهل ليرى ماسيلاقي من عذاب (ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً) وهذه المهلة ستنتهي على حين غرة(فاسلكوه) والفاء في مكانه تقطع المهلة والتراخي، وتحسم الأمر إلى التنفيذ الفوريّ دون تباطؤ. قال تعالى: (**إِنَّ الَّذِيْنَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الفِرْدَوسِ نُزُلاً خَالِدِينَ فِيْهَا لا يبغونَ عَنْهَا حِوَلا**)[الكهف:١٠٨]

(١)الطراز،٢/٥٧
(٢)الطراز،٢/٥٧

يشترك (الذين آمنوا)و (عملوا الصالحات) بالحكم عبر حرف العطف الواو. لم يكن للمهلة موضع فجاء بالواو[١] . والحكم هنا هو أن (كانت لهم جنات الفردوس نزلاً) ولأنّ المعنى قد تمّ ولأنّ اقتران الخلود بهذه النزل والاستقرار فيها أمرٌ حتميٌّ وبديهيّ آثر الخطاب أن تتالى العبارات دون وصل (خالدين فيها) (لا يبغونَ عَنْهَا حِوَلًا). والجدير بالذكر هنا أنّ الجنَّة كما هو معروف تعني البستان، ولكنها في السياق القرآنيّ تعني المكان الذي أعدّه الله للمؤمنين، واتسعت دلالته لتشمل ما لايمكن للإدراك البشريّ القاصر الإحاطة به ((إنّ النظم القرآني اكتسبت به قسم من الألفاظ دلالات خاصة من معانيها العامة أو صار لبعضها دلالة جديدة غير معهودة سابقاً تطلبها السياق القرآني أو الجو الديني العام))[٢].

وعموماً لايمكننا فصل الكلمات في الخطاب القرآنيّ عن بعضها و((لايمكن فهم أية كلمة على نحو تام بمعزل عن الكلمات الأخرى ذات الصلة بها والتي تحدد معناها))[٣]. وهكذا نجد أنَّه لاختيار الوصل والفصل وظيفة فعّالة خدمت الجو العام للآية وسياقها الخاص.

خامساً- القصر

القصر كما نعلم هو نوع من التخصيص ، وهو تخصيص شيء بشيء ، يسمى الأول المقصور والثاني المقصور عليه ، ولأسلوب القصر جماليّاته ووظائفه البلاغيّة التي تطالعنا في خطاب الجنَّة والنَّار هنا وهناك مرخية سدولها الجماليّة على جو الآيات،تاركةً

(١) في بلاغة القرآن أسرار الفصل والوصل، ٢٩.
(٢) الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى، كاظم حامد عباس ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠٤م، ١٦٢ .
(٣) اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ترجمة: عباس صادق الوهاب، مراجعة: يوئيل عزيز ،دار الشؤون الثقافية، بغداد،ط١،١٩٨٧م،٨٣.

بصمتها في بنيتها التركيبية اللغوية، وطاقتها التعبيريّة والتأثيريّة. قال تعالى: (مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ)[غافر:٤٠].

وهنا قصر حقيقي تحقيقي المنفي فيه عام والمقصور يختص بالمقصور عليه لايتعداه إلى غيره[١] والحصر أو الاستثناء المفرغ ((تخصيص الشيء بالشيء على معنى أنه لايتجاوزه إلى غيره))[٢]و الحصر بالأداة إلّا هو الأشهر نحويّاً. تشعّ إلّا بدلالة الحصر حصر المعنى المراد في بؤرة دلاليّة واحدة، وحصر انتباه القارئ في البؤرة ذاتها، وهذا أدعى لتأثره، وضمان انفعاله، وتثبيت الفكرة المراد تأكيدها في ذهنه.

فمن عمل سيئة لن يجزى على الإطلاق إلّا بجنس ما فعل، أي سترّد له سيئته بسيئة مثلها، تقابلها وتساويها تماماً. ولهذا الميزان العادل حكمته الإلهيّة التي تتجسّد هنا في أن يغرف الإنسان من أفعاله، فإن عمل سيئة فله أختها، وإن عمل صالحاً فله الجنَّة بغير حساب. يلفتنا هنا استخدام الفعل يجزى الذي خرج عن دلالته المعتادة التي تجرّ إلى مخيال القارئ حقلاً دلاليّاً مختلفاً عن السيئة ،ولكن السياق منح الفعل معنى فوق معناه وكما نعلم في القرآن ((لكل لفظة دلالة

(١)علوم البلاغة، أحمد مصطفى المراغي ، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ط)(د.ت)، ١٤١.
(٢) حاشية السيد علي المطول، علي بن محمد السيد الشريف، مطبعة أحمد كامل،القاهرة (د.ط)،١٣٣٠هـ،٢٠٤.

خاصة وإيحاء خاصّ وانسجام في التركيب))[١] و ((ليس في طاقة البشر الإحاطة بأغراض الله في كلامه وأسراره في كتابه))[٢]

ومنه قوله تعالى: (**فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**)[العنكبوت:٢٤] قرئ جَوابَ قَوْمِهِ بالنصب والرفع قال بعضهم لبعض. أو قاله واحد منهم وكان الباقون راضين ، فكانوا جميعا في حكم القائلين. وروى أنه لم ينتفع في ذلك اليوم بالنار ، نعنى : يوم ألقى إبراهيم في النار ، وذلك لذهاب حرّها.[٣] والقصر بالنفي هو تخصيص أمر بأمر ونفيه عمّا عداه. [٤]

ومن القصر أيضاً القصر بضمير الفصل ومنه قوله تعالى: (**لايستوي أصحاب النَّار وأصحاب الجنَّة أصحاب الجنة هم الفائزون**)[الحشر: ٢٠] .

(فأصحاب الجنَّة هم الفائزون) يخصص التركيب الذي اتكأ على أسلوب الحصر هنا، ويحصر الدلالة بفئة معينة مخصوصة هي(أصحاب الجنَّة) وتفيد أنَّهم وحدهم الفائزون.عطفاً على الحكم السابق (لايستوي أصحاب النار وأصحاب الجنَّة) بالطبع كيف يستوون، فأصحاب الجنّة هم الفائزون.

---

(١)علم الدلالة، أحمد مختار عمر، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر،٧٢.

(٢) البرهان في علوم القرآن، ج١/ ١٠٠.

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، العلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى (٤٦٧ ـ ٥٣٨ هـ)، دار الكتاب العربي ـ بيروت،١٤٠٧ هـ، ٣٤٩/٣.

(٤) دلائل الإعجاز، ٢٦٠.

يلفتنا التقابل الذي يثري الدلالة إذ قسّم أهل الآخرة بين أصحاب الجنَّة، وأصحاب النَّار وحصر الفوز في فئة دون أخرى.

في الحقيقة ((إنّ لمبدأ التقابل أهميته الدلالية التي يعتمد عليها في التفسير الدلاليّ))[1]. كما رأينا في الآية السابقة. وهذا التوظيف المدروس يتماهى مع سياق الآية وجوها العام.

ومن القصر بضمير الفصل قوله تعالى: (**إِنَّ الَّذِيْنَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ خَيْرُ البَرِّيَّةِ جَزَؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِيْنَ فِيْهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ**)[البينة:٧-٨].(إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم خير البريّة) وضمير الفصل يفيد إضافة إلى التوكيد الاختصاص[2] وبذلك حصر الدلالة في فئة معينة مخصوصة هي الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وجعلهم عبر هذا التركيب خير البريّة، هم لاغيرهم خير البرية.

ومنه القصر بأدوات مثل (لا،بل ،لكن) وما يفيد معنى التخصيص والحصر وهكذا في كل أسلوب ينحدر إلى الذهن منه معنى القصر وإن لم توجد أداة من أدواته المعروفة[3] كقوله تعالى: (**ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار**) [آل عمران:١٨٣]

(١) ظاهرة التقابل في علم الدلالة، أحمد نصيف الجنابي، مجلة آداب المستنصرية،، م ١٩٨٤، ١٠/ ٢٤.
(٢) أساليب المعاني في القرآن الكريم، ٢٧.
(٣) دلالات التراكيب، محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٩٨٧م،٩٩.

جاءت حتى بمعنى (إلا) أي ألا نؤمن برسول إلا إذا أتانا بقربان تأكله النار. وفي تكرار استخدام هذا الأسلوب اختصار وإيجاز وتكثيف للدلالة في بؤر بعينها، ومن المعروف أنّ ((نفس الخاصية الأسلوبية يمكن أن تثير انفعالات متعددة ومتميزة تبعاً للسياقات التي ترد فيها))[1] .وهذا صحيح تماماً فالأسلوب عينه تكرّر في سياقات متنوعة، حمل مع كلّ منها انفعالات مخصوصة ومقصودة بعينها في كلّ موضع مختلفة عن الآخر.

فالذين آمنوا وعملوا الصالحات هم خير البريّة، وجاء القصر ملائماً للانفعال المطلوب الملائم لتخصيصهم بهذه الصفة التي يترتب عليها وعدهم بالجنات التي تجري من تحتها الأنهار، يرضون عن الله ويرضى عنهم،فهم مرضيين خالدين في النعيم.وأصحاب الجنة هم الفائزون؛ هم عينهم لاغيرهم، فانحصر الفوز بمن نال الجنة، في مقابل الخاسرين الذين نالوا جهنم نتيجة لأعمالهم، وتكبرهم، وتكذيبهم وكفرهم. والذي يعمل سيئة لا يجزى إلا مثلها فالقصر منح الفعل (يجزى) دلالة فوق دلالته، فوسّع أفق التوقع بعد هزّه ليشمل الجزاء حتى السيئة، تمنحه العدالة الإلهيّة منطقيته ودلالته الجديدة. إنّ وقع هذا القرآن في القلوب هائل ضخم لايقف له قلب غير مطموس ولاتصمد له روح غير معاندة[2].

(١) الأسلوب والأسلوبية نحو بديل ألسني في نقد الأدب، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، تونس (د.ط)،١٩٧٧م ،٥٥.
(٢) ينظر: الأثر النفسي للقرآن الكريم،٣٥.

ولذا كان القرآن قوة الخلود الأرضي التي خرج بها القرآن مخرج الشذوذ الطبيعي، فلاسبيل عليه ليد الزمن وحوادثه[١].

سادساً: الخبر

لغةً : ((الخبير من أسماء الله عزّ وجل العالم بما كان وما يكون. وخبرت بالأمر أي علمته. وخبرت الأمر أخبره إذا عرفته على حقيقته.. وخبره بكذا وأخبره: نَّبأه))[٢].

اما في الاصطلاح فأنهم قالوا في الخبر:

((اختلف الناس في انحصار الخبر في الصادق والكاذب، فذهب الجمهور إلى أنّه منحصر فيهما، ثم اختلفوا، فقال الأكثر منهم: صفه مطابقة حكمه للواقع، وكذبه عدم مطابقة حكمه له. هذا هو المشهور وعليه التأويل))[٣] .

واحتمالية الصدق والكذب المرتبطة بالواقع متعلقة بذات الخبر ببقائه[٤]

ضروب الخبر وأنواعه :

وللخبر ضروب تتناسب مع أحوال المخاطب وهي:

١-أن يكون المخاطب خالي الذهن من الحكم بأحد طرفي الخبر على الآخر والتردد فيه، فيستغنى عن مؤكدات الحكم.

٢-أن يكون متصوراً لطرفيه، متردداً في إسناد أحدهما إلى الآخر،طالباً له، فيحسن تقويته بمؤكد.

---

(١) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ٢٥.
(٢) معجم مقاييس اللغة، مادة خبر:٢٣٩/٢
(٣) الإيضاح، ٥٩/١.
(٤) ينظر: مفتاح العلوم، ١٦٦

٣-أن يكون حاكماً بخلافه،فيجب توكيده بحسب الإنكار[١]

وللخبر بحسب حال المخاطب ثلاثة أنواع معروفة هي :

أ- ابتدائي.

ب- طلبي.

ت- إنكاري.

أولاً: الابتدائي: هو الموجَّه إلى المخاطب وهو في حالة خلو الذهن من الخبر .

ثانياً: الطلبي : هو الموجَّه إلى المخاطب في حال شكّه أو تردده .

ثالثاً: الإنكاري: هو الموجه إلى المخاطب في حال إنكاره للخبر أو تكذيبه[٢]

أغراض الخبر:

إنّ للخبر أغراضاً أصليّة يلقى لأجلها،وهي إما إفادة المخاطب الحكم الذي تتضمنه الجملة،وإما لإفادة المخاطب أنّ المتكلم عالم أيضاً بالحكم[٣]، والخبر لابد فيه من قصد المطابقة،أو قصد عدمها[٤]

يمكن تحديد غرضي الخبر بـ : فائدة الخبر، ولازم الفائدة.

فأمَّا فائدة الخبر، فتعني الخبر نفسه، وهي المعلومة التي يستفيدها المتلقي.

(١) ينظر: البلاغة والاتصال، عبد المجيد جميل، دار غريب للطباعة والنشر، ط١،٤٨-٤٩.
(٢) ينظر: المصدر نفسه :٢٢
(٣) ينظر: جواهر البلاغة، ٥٦.
(٤) ينظر: شروح التلخيص، ١٦٦/١.

وهـذا كـائن فـي كينونـة المخاطـب وحالتـه فـإذا كـان جـاهلا غيـر عـارف لمحتوى الخبر فالغرض وصول المعلومة إليه ، وذلك لعدم علمه بها.

و لازم الفائـدة تعنـي : الـذي يحصـل لديـه التلقـي ، ويقـال أمامـه الخبـر أو يقـرؤه يكـون عالمـا بمضـمون الخبـر ، فيجـب أن يأخـذ افـادة أخـرى من الخبر مترتبة على هذا التلقي ، وهو ما يسمى لازم الفائدة(١)

وأدوات توكيد الخبر كثيرة منها: (إنّ) وهي الأصل في التوكيد(٢)

وفـي الكتـاب العزيـز عـدد مـن الآيـات التـي تتحـدث عـن الجنـة والنـار ، ومن آيات الجنة ومعها أنواع الخطاب :

(كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)[البقرة ٢٥] ، : خطاب التفات ، وينتهي بغائب يضعه في جملة اسمية مثبا لهم .

(وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ) [البقرة ٣٥] ، :خطاب عين وخطاب تشريفي لآدم وزوجه بالنداء وبـ(يا) .

(أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ) [البقرة ٢١٤] ، خطاب التعليم والتهييج والتعجب .

لقـد تنوعـت الخطابـات القرآنيـة مـع آيـات الجنَّـة فـي سـورة البقـرة ، ولكنـه كـان بمجملـه خطـاب هـدوء وتكـريم ولـين – وهـو مـا سـنراه – ، ولـيس كخطـاب آيـات النـار وأهـل النَّـار الـذي انمـاز بالحـدّة والقّـوة والتخويـف ،

(١) ينظر: الحديث في البلاغة، نرجس مرزوق، دار الإشراق الفكري، بيروت، لبنان، (د.ط)(د.ت)، ١٢.
(٢) ينظر: دلائل الإعجاز، ٣١٥.

ولا شك أن التعبير القرآني معجز ويتميز بحسّ جمالي في طريقة التركيب والصوغ ، ليس فقط في التشبية والصور ، بل أيضا في الأسلوب واختيار اللفظ والنسق الكلامي ، وتتجلى القيمة التعبيرية في طريقة النظم ، وفي اختيار الكلمات ، وفي الأسلوب من الناحية التركيبية ، لتصل الفكرة بشكل متقن ودقيق ، فالمعنى يقوى ويظهر بشكل إيحائي من خلال الأسلوب كما في قوله تعالى :

(كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)[البقرة ٢٥]

ونلحظ هنا أن الخطاب خطاب مدح وتكريم ، وكذلك الأساليب تسهم بشكل عام في تبيان معنى السعادة والديمومة لهذه السعادة ، ففي قوله : (وهم فيها خالدون) استعمل الجملة الاسمية ، ((والجملة الاسمية تعبَّر بطبيعتها عن معنى الثبات والاستقرار والديمومة))[(١)] وهي ماتناسب مقر المؤمنين في الجنة ، وهو مايدعم معنى الجملة ، ليترسخ المعنى من خلال الكلمة ، ومن خلال الأسلوب ، لأن الإيحاء دائما عنصر مقوٍ لأي فكرة ومغذٍ لها وخاصة في مناخات النص المبدعة حيث تكون هناك شبكة من العلاقات النصية المخفية التي تجعل الخطاب النصي أكثر فاعلية عن طريق العلاقات المعقدة والمتشابكة المخفية المشكلة والداعمة للمعنى[(٢)].

(١) النص الأدبي وعلاقات التداخل البلاغي، ٢٩ .

(٢) ومعنى ذلك أن النص مكون من علاقات معقدة في نسيجه الداخلي لا تظهر إلا لعين المدقق ولا نستطيع أن نزعمها أننا نرصدها جميعاً ، ولكن هذه العلاقات هي ما تمنح المعروف بالنسبة ؟إلينا معنى جديدا ، عن طريق اكتساب معنى جديد ، او توسيع مفهوم قديم ، أو نسبة الشيء إلى غير ماهياتها مما يولد بالتالي إدراكا جديدا وهو هدف الإبداع ، وهنا في النص القرآني نطلق عليه إعجازاً تكثيفياً .

إن دقة القرآن الكريم تحدد لكل حرفٍ موضعاً دقيقاً ، ولكل أسلوب هدفاً قيماً وإيحاءً ، قال تعالى :

(إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ)[البقرة ١٧٤ – ١٧٥]

ومن جماليّات أسلوب الخبر الموظَّف في خطاب الجنَّة والنَّار نذكر مايلي: قال تعالى:(إِنَّ المُنَافِقِيْنَ فِي الدِّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ)[النساء:١٤٥]

قال تعالى: (فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِيْ سَوَاءِ الْجَحِيْمِ)[الصافات:٥٥].

يبدأ بالماضي(اطلع) (رآه) توظف صيغة الماضي لدلالة ثبوت الحال. وأما تفسير الآية :((والاطلاع إلى سواء الجحيم ليجد له قريناً من العهد الغابر كان هذا القرين يكذب باليوم الآخر ويسائله في دهشة أهو مصدق أنهم مبعوثون..فتثير رؤيته لقرينه في سواء الجحيم شعوره بجزالة النعمة التي نالها هو واخوانه من عباد الله المخلصين))[١].

(١) الجنة في القرآن الكريم، ابتسام عبد الكريم المدني، مجلة المصباح، ع٣، ٢٠١٠م،٣٠٦.

ومن الخبر قوله: (إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ)[يس:٥٥-٥٨].

إنّ توالي الجمل الاسميّة يفيد معنى الاستقرار، وثبات الحال ودوامه. ((موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئاً بعد شيء))[١] فالأحداث لها يقينية التي تحملها صيغة التوكيد. يتخللها فعل مضارع، وظّف في مكانه، وأفاد تغير الطلب (يدعون) واستمراره، واستمرار تلبيته بالضرورة وتجدده. ((وأما الفعل فموضوعه على أنّه يقتضي تجدد المعنى المثبّت به شيئاً بعد شيء))[٢]

وقال تعالى :(وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ)[التكوير:١٢] ،اختار الخطاب الإلهيّ صيغة المبني للمجهول (سُعّرَت) وآثر عدم ذكر الفاعل بغاية التركيز على الحدث بعيداً عن فاعله.وكان بإمكانه ذكر الفاعل (وإذا سعر ربك الجحيم)أو (وإذا سعر الخزنة الجحيم) ولكن اختيار المبني للمجهول أبلغ. ((إنّ البناء للمجهول تركيز للاهتمام بالحدث بصرف النظر عن محدثه))[٣]

وهكذا نجد أنّ الجمل الخبريّة قد وظّفت هي الأخرى في خدمة سياق الآيات، وجوّها الدينيّ وغرضها العام. وهنا نلمس بلاغة الخطاب

(١) البلاغة في ثوبها الجديد، بكري شيخ أمين ، دار العلم للملايين، ط٩ (د.ت)،٧٧.
(٢)علم المعاني،عبد العزيز عتيق، ٧٤.
(٣) التفسير البياني للقرآن الكريم، ٨١.

القرآني من كلّ جوانبه، ولاغرو إن قيل فيه وفي إعجازه الكثير((:فإنّك لاتسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولامنثوراً، إذا قرع السمع خلص له الى القلب من اللذة والحلاوة في حال، من الروعة والمهابة في حال أخرى مايخلص منه إليه،تستبشر به النفوس،وتنشرح له الصدور))[١].

سابعاً: الإيجاز والإطناب والتوكيد

١- الإيجاز

الإيجاز لغةً: الإيجازُ مصدرٌ من أوجزَ بمعنى قلَّ في بلاغةٍ،وأوجزه اختصره،وكلامٌ وجزٌ: خفيفٌ ومنه أمرٌ وجز، ((وأوجزَ كلامَه،قلّلَه))[٢] ((وجزَ في منطقه يجزُ وجزاً ووجوزاً: أسرعَ فيه واختصرَه وفي الكلامِ قصّره وقللهُ فهو واجزٌ))[٣].

الإيجاز في الاصطلاح:

يقول السكاكي: هو أداة المقصود من الكلام بأقل من عبارات الأوساط،أي هو التعبير عن المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة مع اللإبانة والإفصاح، وهو قسمان: إيجاز القصر وإيجاز بالحذف[٤].

(١) بيان إعجاز القرآن، ٩٢.
(٢) القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ،مؤسسة الرسالة ،بيروت، ط١،١٤٠٦هـ ،٦٧٩.
(٣) المعجم الوسيط، أحمد عبد القادر، الزيات، ، حامد،النجار،محمد، مصطفى إبراهيم، دار العودة، تحقيق: مجمع اللغة العربية (د.ط)(د.ت)،١٠١٤
(٤) ينظر: مفتاح العلوم، ٢٧٧.

ويقول أحمد الهاشمي في كتابه: ((هو وضع المعاني الكثيرة في ألفاظ أقلّ منها وافية بالغرض المقصود،مع الإبانة والإفصاح))[1]

ولهذه الأساليب مواطنها في الخطاب القرآني فيما يخصُّ الجنَّة والنَّار، والموظَّفة كبقية الأساليب -وكما عودنا الأسلوب القرآنيّ- بإتقان. من الإيجاز قوله جلّ وعلا: ((**وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مُدْهَامَّتَانِ**)[الرحمن٦٢-٦٤].

كلمة واحدة كثّفت معاني عديدة ،اكتفى الخطاب القرآنيّ بأسلوبه البديع بكلمة واحدة، وآثر الاختصار لأنّه في هذا المقام أبلغ، وأنسب لسياق الآية، ورتمها المتسارع المتناسب مع مدهامتان كان يمكن أن يقول شديدة الخضرة لكثرة ماتروى أو يعبّر عن معنى الخضرة، وشدتها ،وكثرة الري بعدة عبارات، لكنّه كثّفها جميعاً في كلمة واحدة.

ومنه قوله تعالى: (**أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ**) [آل عمران:١٦٢-١٦٣].

اتكأ الأسلوب هنا على جمل قصيرة نوعاً ما ومتتابعة مترابطة ومتناسقة للغاية. ولأنّ المقام يناسبه الإيجاز، نجد أنّ الخطاب الإلهي اكتفى بقوله (هم درجات) بديلاً عن ذكر درجات جهنم كلّها، والدخول

(١) جواهر البلاغة: ٢٠٣.

في تفاصيلها. يفتتح الآية بالاستفهام ((الاستفهام الاستخبار ،والاستخبار هو طلب من المخاطب أن يخبرك))[1].

والاستفهام هنا جاء بطريقة الاستفهام الإنكاري(أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله).والإيجاز في قوله (بئس المصير)حيث حذف جهنَّم لبلاغة حذفها ولوجود قرينة دالة عليها. وكان التعبير(وبئس المصير جهنَّم).لكنه آثر الحذف وهو هنا أبلغ. وفي النفس الإنسانيّة قوتان: قوة تفكير، وقوة وجدان. وحاجة كل واحدة منهما غير حاجة أختها. فأما إحداهما فتنقب عنِ الحق لمعرفته وعنِ الخير للعمل به، أمَّا الأخرى فتسجل إحساسها بما في الأشياء من لذَّة وألم. والبيان التام هو الذي يوفي لك هاتين الحاجتين، ويطير إلى نفسك بهذين الجناحين، فيؤتيها حظها من الفائدة العقلية، والمتعة الوجدانية معا[2]. وهذا مانلمسه في الخطاب الإلهيّ فهو يخاطب العقل المتحرِّي، والمنقِّب، والمحلِّل، والمحاجج، ويخاطب العاطفة ،ويثير انفعالاتها المتنوعة وكلّ في مقامه الملائم.(**يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنْكُم خَافِيَةٌ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ**) [الحاقة:١٨-٢٤].

لنتأمل الآيات ولندقق على أفعال الأمر، وكما نعلم ((يسمي النحاة صيغة افعل فعل الأمر ،وعلامته التي يعرف بها عندهم مركّبة

(١) دلائل الإعجاز، ١٤٠.
(٢) ينظر: النبأ العظيم، ١١٣ -١١٤.

من مجموع أشياء منها دلالته على الطلب))[1]. تغذي أفعال الأمر سياق الآيات بالانفعال المناسب فالمؤمن المبتهج بتلقف كتابه في يمينه، يتدفق الكلام منه فيعكس حالة فرح وابتهاج (هاؤوم–اقرؤوا) ،ثم يأتي الأمر (كلوا– اشربوا) في موقعه المناسب، بعد سلسلة الجمل المتساوية ذات الفاصلة الموحَّدة: (هاؤوم اقرؤوا كتابيه) (أني ملاقٍ حسابيه)(فهو في عيشة راضية)(في جنَّة عالية)(قطوفها دانية) وهي تلائم غرض الاستعراض السريع المكثّف لما ستؤول إليه حالة المؤمن في النعيم، كأنّها ومضات تناسب عرض الجنَّة السريع أمام المؤمنين، والتقسيم والمساواة خير أسلوب يناسب هذا الغرض.

٢ـ الإطناب والتوكيد

أ. الاطناب

أما عن الإطناب لغةً فهو :

مصدرُ أطنبَ بفتحِ الهمزةِ ويسمى الإطناب بكسرها وفي الأصلِ اللغويّ:الطولُ من حبالِ الأخبية ثم استعيرت للكلامِ،وأصبحتْ تعني البلاغةَ في المنطقِ،والوصفُ مدحاً أو ذماً،وأطنبَ في الكلامِ بالغَ فيه[2] واصطلاحاً: هو زيادة اللفظ على المعنى للفائدة[3] .

أو هو تأدية المعنى بعبارة زائدة لفائدة تقوية وتوكيد[4]

(١) أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، ١١٣.
(٢) ينظر: لسان العرب، ٥٦٢/١.
(٣) ينظر: جواهر البلاغة، ٢٢٨.
(٤) ينظر: فن البلاغة، عبد القادر حسين، عالم الكتب، ط٢، ١٩٩٨م،١٨٧.

ويعرَّفه بعض البلاغيين بأنّه عكس الإيجاز ،وله مواضع فيخاطب به الخواص،والعوام(١)

وللإطناب دواعٍ ،وأسباب لاستخدامه شأنه في ذلك شأن باقي أنواع البلاغة،وأهمها تثبيت المعنى المراد،والتوكيد،ودفع الإبهام،وإثارة الحمية من أجل التعظيم أو التهويل،وغير ذلك(٢).

ولإطناب جماله أيضاً قال تعالى: (**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**)[الرحمن ٤٦-٥٣].

إن الإطناب الكامن في التكرار الكثيف للاستفهام(فبأيّ آلاء ربكما تكذبان) كان يمكن أن يختصر، ويكتفى بذكره مرة أو مرتين بدلاً من خمس مرات، وكانتا تفيان بالغرض غير أن لهذا الإطناب جماليّته على الصعيد الإيقاعيّ، فاختتام كلّ آية بتكرار هذا الاستفهام حقّق وظيفةً إيقاعية، تأسر حاسة السمع، بعيداً عن مستوى المعنى الذي مدّه بخاصية توكيديّة رنّانة و بديعة في آنٍ واحد.لقد أفاد التكرار للاستفهام(فبأي آلاء ربكما تكذبان) التوكيد.

(١) ينظر: جواهر البلاغة،٢٢٦.
(٢) ينظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني ،الدار الشامية للطباعة والنشروالتوزيع، ط٢ ،ج٢، ٨٠.

والتوكيد عند علماء البلاغة إقرار المعنى في ذهن السامع بوسائل معيَّنة،فإن كان المخاطب خالي الذهن ألقي إليه الكلام بدون تأكيد، وإن كان متردداً فيه حسن تقويته بمؤكد،وإن كان منكراً وجب توكيده.

والتأكيد تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره وفائدته:إزالة الشكوك وإماطة الشبهات عما أنت بصدده،وهو دقيق المأخذ،كثير الفوائد(١)

ولا ضيّر بعد هذا كلّه أن يبهر العرب بالقرآن ولغته وإتقانه. فقد كان القرآن في خطابه نظاماً متناسقاً دقيق المبنى،مبدع التصميم.

ولطالما بهر العرب بجمال القرآن وروعته، ونظروا إلى التغيير الجذري الذي أضافه ليس في العادات و المفاهيم والتقاليد بل في القول والكلام(٢).

ب ـ التوكيد:

التوكيد لغة :

((وَكَّدَ العَقْدَ والعَهْدَ: أَوثَقَه، والهمز فيه لغة. يقال: أَوْكَدْتُه وأَكَّدْتُه وآكَدْتُه إِيكاداً، وبالواو أَفصح، أَي شَدَدْتُه، وتَوَكَّدَ الأَمْر وتأَكَّدَ بمعنىً ، وقال أَبو العباس: التوكيدُ دخل في الكلام لإِخراج الشَّكّ وفي الأَعْدادِ لإِحاطةِ الأَجْزاء، ، فإِذا قلت كلمني أَخوك تَكْليماً لم يجز أَن يكون المكلّم لك الا هو. ووَكَّدَ الرَّحْلَ والسَّرْجَ توكيداً: شَدَّه))(٣)

التوكيد اصطلاحا :

عرفه ابن مالك بأنه: ((تابع يقصد به كون المتبوع على ظاهره ، والمراد هنا التوكيد الاصطلاحي عند النحاة ، دون الأنواع الأخرى

(١) ينظر: الطراز لأسرار البلاغة، ١٧٦/٢.
(٢) أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم، ٣١.
(٣) لسان العرب ، مادة وكد :٤٦٦/٣.

التي تفيد التوكيد ، مثل: إن ، والحرف الزائد القسم وهي من الكثرة بحيث لا يمكن حصرها في نظم القرآن الكريم ، أو كلام سيد المرسلين ، أو بليغ كلام العرب ، فالذكر قد يفيد توكيداً والحذف قد يفيد توكيداً، والوصل والفصل ، والتكرار ، والاعتراض ، والالتفات ، وصور التشبيه والاستعارة ، وأنواع المجاز ، والكناية ، كل هذا وغيره قد تفيد أنواعاً من التوكيد والمبالغة في تثبت المعنى أو نفيه))[١]

والتوكيد هو وضع المعنى ثابتا في نفس المتلقي ، وإبعاد شبح التغافل عن المعنى أو عدم تصديقه أو الاستهانة به ، ومن المعروف أن التوكيد يتدرج في شدته ، وهذا التدرج تابع أولاً وأخيراً للسياق والمعنى ، وبوفق الموقف الخطابي النصي ، ويأتي التوكيد للفظ والجملة والحرف ، وقد يكون بإعادة الكلمة أو الجملة ، وقد يكون بالمعنى ، وقد يكون بالأسلوب[٢]

وهنا يجب أن ننتبه إلى موضوع مهم وهو أنّ ((لفظ التوكيد في القرآن أفصح))[٣]

أساليب التوكيد :

من أساليب التوكيد القسم : وهو أسلوب قديم من أساليب العرب البلاغية ، ويستعمل لتوكيد المعنى ودلالاته قوته ، والقسم أسلوب

(١) بعض أساليب التوكيد ومدى التزام الشيخ محمود الحسن الديوبندي بها في ترجمته لمعاني القرآن الكريم (تحليل وتقييم) ، حافظ بشير ، كلية اللغة العربية ، الجامعة الإسلامية العالمية – إسلام أباد، باكستان- ، جهاتُ الإسلام المجلد: ٨ ، العدد١ ، يوليو - ديسمبر ، ٢٠١٤ م ، ٢٥٠ .

(٢) ينظر: حوسبة لبعض أساليب التوكيد في القرآن الكريم، زينب علي خلف، ميساء عبد الكريم ناصر، منتهى الموسوي، مجلة أبحاث البصرة(العلميات) العدد الحادي والثلاثون الجزء الثاني ٢٧-(٢٠٠٥)، ١ .

(٣) فتح باب رب البرية في شرح نظم الأجرومية، للعلامة محمد بن أبَّ القلاوي الشنقيطي، و شرح فضيلة الشيخ أحمد بن عمر الحازمي، الجزء الأول ، باب التوكيد، ٤٦٥ .

توكيدي موجود في كتاب الله تعالى ، ومن إفادة القسم البلاغية تكثيف القول أو الإيجاز ، وإظهار لقوة الأمر وإثبات قوي له[١]

والتوكيد بالتكرار : هو في رؤية النحويين إما تكرار للفظ بنصه أو مرادفه ، وهو من التوابع[٢] .

التوكيد ببعض الالفاظ وبالحروف :

التوكيد بـ (قد) و بالمفعول المطلق أو ما ينوب عنه ، بالوصف ، بالأحرف الزائدة كأحرف الجر ولام المزحلة ولام الابتداء[٣]

ولا شك أن الأسلوب نفسه هو طريقة توكيدية قوية ، فاستخدام النداء في موضع ، واستخدام استفهام في موضع آخر ، واستخدام جملة اسمية هناك ، أو تكرار حرف معين كالقاف أو غيره كلٌّ له دلالته حسب السياق الناظم له وهو ما سنبينه في موضعه .

التوكيد بأساليب التوكيد العادية :

إن للتوكيد أساليب عدة ، والأمر في استخدامها يتعدى الموضوع أو المعنى التوكيدي فقط ، فالأمر كما يرى بعض الدارسين ((أصعب من معرفة التوكيد ، معرفة المعنى الموضوع أو المستشعر تحت التوكيد))[٤] ، وفي القرآن الكريم وتحديدا في سورة فصلت أمثلة رائعة عن المعاني الجمالية والداعمة للمعنى بقوة ونرى أساليب توكيدية اعتدنا عليها ، وأخرى موجودة في النسج الداخلي للجملة ،

---

(١) ينظر: بلاغة القسم في الحديث النبوي الشريف، الأستاذة الدكتورة أميمة بدر الدين، مجلة جامعة دمشق – المجلد ٢٦ - العدد الثالث+الرابع ٢٠١٠م ، ٤٧ .

(٢) ينظر: أسلوب التوكيد في القرآن الكريم، محمد حسين أبو الفتوح ، مكتبة لبنان ، بيروت، ط١، ١٩٩٥ م ، ٢٥.

(٣) من الجدير بالذكر أن لام المزحلقة هي نفسها اللام الابتدائية، ولكنها تزحلق إلى الخبر مع دخول حرف مشبه على الجملة ، وينظر: النحو الواضح الميسر، تيمور حكمت، الميسوري للنشر والطباعة والتوزيع ، دمشق، ط١ ، ٢٠٠١م، ٢٣.

(٤) التطبيق البلاغي على سورة البقرة – دراسة بلاغية جمالية، د. عمر ألباني ساهمان، دار النشر الإسلامي، الرباط ، ١٩٩٩م ، ١٥ .

بشكل غير ظاهر وإنما لا نقول غير محسوس ، إنّ المعنى التوكيدي ظاهر بأدواته المعروفة في سورة فصلت ، ومن ذلك قوله تعالى :(فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ)[فصلت ٢٤] .

وهنا نرى أنّ معنى ((" فما هم من المعتبين " : بفتح التاء ؛ أي من المجابين إلى إزالة العتب))[١] وتأتي (من) هنا في سياق التوكيد ، لأن المعنى كان يمكن أن يكون دونها في كلام آخر ، أي كان ليصح نحويا ، ولكن إضافة (من) هنا أَضفت معنى التوكيد ، وأفادت معنى آخر كما نرى وهو معنى كونهم بعيدين من قبول عتبهم ، فقد باعد بينهم وبين المقبولين في عتبهم بـ (من) ، وفي هذا التبعيض استحقار لعتبهم ، ورفض له .

(١) التبيان في إعراب القرآن ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري ، ، دار الفكر ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م ، ٢/ ٣٧٩ .

الفصل الثالث

الاداء البديعي في بلاغة خطاب الجنَّة والنَّار

توطئة

لطالما تغنّى العرب بلغتهم وجمالها وتفرّدها ولا جناح عليهم في ذلك فهي لغة بديعة ، ولأنّ اللغة كانت ومازالت محطّ فخرهم واعتزازهم المركزيّ، هذا من جهة، ومن جهة أخرى و على أثر اختيار القرآن الكريم إيّاها لغةً له، يخاطب بها البشر؛ إن اللغة العربية تحمل طاقات إبداعية وخصائص مرنة في خلق المعاني ولهذا اختارها الله تعالى لتكون لغة كتابهِ فهي الوحيدة القادرة على استيعاب المعاني المرادة فهي لغة مقدسة ، وسنتناول في هذا الفصل علم البديع ومحسّناته لتكون عيّنة لهذا الفصل ، الذي يحاول تقديم عرض مكثّف لأهمّ المحسّنات البديعيّة من لفظيّة ومعنويّة في بلاغة خطاب الجنة والنار محاولين في هذه المباحث تقديم تعريفات لألوان المحسّنات المختارة لغةً واصطلاحاً كما جاءت في أهمّ كتب البلاغة، وتوضيح أثرها وابراز ما تضفيه على الكلام في خطاب الجنة والنار من رونق ، وألق، ورصانة، وقوة في الأداء، وتعميق للدلالة، بعد إسدال الجوانب الجماليّة والفنيّة مشخّصةَ بذلك العبارات التي صيغت على أساليبها.

إن علم البديع هو علم تآلف الأصوات في سبيل إحداث متعة ومعنى صوتي وإيحاءات نغمية تشكل المعنى طبقاً لها[١]، فالكلمات تتكون من أصوات ، وهو نظام دقيق من التآلفات الخفية التي يعمد إليها المتكلم في سبيل إحداث تأثير يتعدى المعنى المتشكل من الكلمة فقط[٢] ، بمعنى أن الكلام يتشكل من الكلمة بدلالاتها الخاصة ، وبدلالاتها الناتجة عن تداخلها في سياقها الجديد ، ومن الأسلوب المتشكلة فيه ومن موقعها ، ومن تكوينها الصوتي.

المبحث الأول

المحسنات اللفظية في بلاغة خطاب الجنة والنار

أولاً: الجناس والتكرار :

١ – الجناس:

ورد في اللغة ((الجنسُ الضَّربُ من كلِّ شيءٍ، وهو من النّاسِ، ومن الطيرِ، ومن حدود النحو والعروض والأشياء جملة.... ويُقالُ هذا يجانسُ هذا أي يشاكلُه، وفلان يجانس البهائم ولا يجانس الناس إذا لم يكن له تمييز ولاعقل))[٣] .

الجناس اصطلاحاً: يقول أبو هلال العسكري الجناس : ((هو أن يوردَ المتكلّم – في الكلام القصير نحو البيت من الشعر، والجزء من

(١) ينظر: النقد الأدبي الحديث – أسسه الجمالية، د. سعد أبو الرضا، دار الإخلاص، طرطوس، سورية ، ٢٠٠٩ م ، ٦٧ .
(٢) ينظر: النحو العربي، قواعده الذهبية ودلالاتها السياقية، مسعود الحارث فارس وجمال دربلي نعسان، دار الناسك العربي، دمشق ، سورية ، ٢٠٠٩ م ، ٩٠ .
(٣) لسان العرب، مادة جنس :٤٣/٦

الرسالة أو الخطبة- كلمتين تجانس كلّ واحدة منهما صاحبتها في تأليف حروفها))[1].

و يعرفه السكاكي أنّه ((تشابه الكلمتين في اللفظ))[2].

ويقسم الجناس على قسمين هما : الجناس التام والجناس الناقص

فالجناس التام؛هو ((ما اتفق فيه اللفظتان المتجانستان في أربعة أمور هي: نوع الحروف، وعددها، وهيئتها، وترتيبها))[3].

والجناس من المحسّنات البديعيّة التي تضفي على الكلام ألقاً خاصّاً.

قال السيوطي: ((ولم يقع منه في القرآن سوى مثال واحد))[4] ، وذلك في تكرار كلمة الساعة واحدة معناها الساعة زمنيا والاخرى معناها يوم القيامة كما نلاحظ اتفاق اللفظتين (الساعة- ساعة) في نوع الحروف، وعددها، وترتيبها، وهيئتها ، فيما اختلفتا في المعنى ؛فالساعة الأولى يقصد بها يوم القيامة، فيما تعني الساعة الثانية مدّة من الزمن ، وهي ليست من خطاب الجنَّة والنَّار .

وقد ورد الجناس كثيرا في آيات القرآن الكريم ، وفي آيات الجنة والنار وذلك في قوله تعالى :(**وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً**)[النساء٥٧]

(١) كتاب الصناعتين، ٣٣.
(٢) مفتاح العلوم، ٤٢٩.
(٣) المصدر السابق. الصفحة نفسها.
(٤) ينظر: معترك القرآن، ٣٠٣/١.

ويسمى هذا النوع من الجناس بالجناس المذيّل ، وهو أن تتساوى الكلمتان في الحروف والهيئة ، ثم يضاف على واحدة منهما حرف في أي موقع من الكلمة ، فالجناس هنا في كلمتي(ظلا وظليلا) . ذيّل الجناس هامش بإيقاع خفيّ ، قوّى صلة الربط في المعنى المراد وكان بإمكانه القول (كبيرا).غير أنّ الكلمة (ظليلا) كانت أدعى للتأثير على مستوى الإيقاع وعلى مستوى المعنى فقد كثّفت المعنى وجملته بالإيقاع ، إذ جاء على وزن (فعيل) وهو أحد اوزان صيغ المبالغة

وقوله تعالى :(فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ)[الواقعة ٤٢ – ٤٣]

وهنا نلحظ الجناس الناقص بين كلمتي (حميم ، ويحموم) ، وهذا الجناس أسدى على الجملة مزيدا من الرونق والسهولة النطقية التي ترفع من مستوى النص عادة ، واستعملها السياق القرآني هنا للتعبير عن قوة هذا الحميم والتأكيد عليه وعلى حرارته بتكرار حرف الميم وما يحملة من ايحاء من خلال التكرار .

٢_ التكرار :

التكرار يشبه الجناس ويفعل فعله، وهو يقوي المعنى ويثبّته في ذهن القارئ.كما يضفي التكرار اللفظي رونقاً خاصاً على التركيب برمته.

وسنبيّن النسق الصوتي في بعض آيات الجنة والنار في القرآن الكريم

في قوله تعالى :(كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)[البقرة ٢٥]

نرى تكراراً صوتياً لحرف القاف : (رُزِقُوا ، رِزْقًا ، قَالُوا ، رُزِقْنَا ، قَبْلُ) ، وحرف القاف هنا يعطي معنى القوة والثقل للشيء ، ولا نعني هنا الثقل المادي لأن ذلك في علم الغيب لا نعلم عنه شيئاً ، وإنما نقصد الثقل للمعنى بمعنى العظمة ، والحضور.

وهو يجعل معنى الرزق متكررا في ذهن السامع ليس فقط عن طريق الجناس بين كلمات (رزقوا ، رزقا ، رزقنا) بل عن طريق تكرار الكلمة نفسها بأشكال متعددة ممّا يعطيها حضورا قوياً ، وهو ما يُدخل المتلقي وبقوة في أجواء محببة والرزق من الأشياء المحببة بقوة في الدنيا .

بينما نجد تكراراً صوتيا في القسم الثاني من الآية نفسها وهو تكرار حرف الهاء : (بِهِ ، مُتَشَابِهًا ، وَلَهُمْ ، فِيهَا ، مُطَهَّرَةٌ ، وَهُمْ ، فِيهَا) وهو ((حرف يجعل المتلقي يعيش في جو من السكون والهدوء بسبب موسيقى الحرف))[1]، وكأنها السكينة والراحة الدائمة بعد هذا الرزق .

وهذه التكرارات الصوتية التي تعطي نغما داخليا للنص القرآني ممَّا يسهم في فاعلية الخطاب النصي القرآني في نفس المتلقي ، من خلال خلق نوع من النغم الجاذب للسمع وبشكل يحتاج للتدقيق مما يعمَّق المعنى من جوانب عدة فالمعنى كما رأينا يتعمق من خلال الأسلوب التركيبي للكلام والتشبيه واللفظ والنغم المتكرر أو المتآلف وهو ما نراه في قوله تعالى :﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾[البقرة ٢١٤] .

(١) ينظر: سقف النظر في علاقات النص، عمرو صباني بوعريف، دار الكتاب العالمي، عمان، ط١، ٢٠٠٧ م ، ٥٨

فنرى تكرارا كثيراً لحرف الميم في الآية الكريمة السابقة : (أَمْ ، حَسِبْتُمْ ، وَلَمَّا ، يَأْتِكُمْ مَثَلُ ، مِنْ ، قَبْلِكُمْ) ، ليتكرر حرف الميم ثمانية مرات في هذه الآية القصيرة وحرف الميم يعطي هنا معنى الشدة والعمق و التوكيد على المعنى ، إذ يُعد حرف الميم من حروف الذلاقه التي لا تكاد تخلو منها كلمة عربية رباعية أو خماسية بسبب ذلاقته على اللسان [1].

و يمكن التعبير عن القوة من خلال تكرار حرف ما ، كقوله تعالى :(**وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**)[الاعراف:٤٤]

فالقوة والتوكيد تأتي وبشكل واضح من تكرار الحروف في الكلمات (هدانا – لنهتدي – هدانا) و (وجدنا – وجدتم) و (ماوعدنا ربنا حقا – وما وعدكم ربكم حقا) و (أذَّن مؤذن)، ولكنها لا تتوقف عند هذا الحدَّ، بل نرى أنَّ الكلمات نفسها تتكرر وإن لم يكن بشكل

(١) ينظر: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية: د. عبدالعزيز الصايغ ،، مخارج الحروف وصفاتها :ابن الطحان الاشبيلي،٢٠٠٣م :٨٨

كامل وإنما بأقرب مركز صوتي إليها وذلك من أجل ترسيخ المعنى وتبيان التضاد والتقابل في كلٍّ من الوجهتين .

إن التكرار الصوتي يحمل تفتّقا في المعنى الأصلي .

وهذا التفتّق يفضي إلى تكثيف المعنى وتقويته بشكل طبيعي لأنَّه يدعم الفكرة ، فإنَّ ملاحظة السياقات التي تأتي فيها التكرارات تفضي إلى معرفة أكيدة بأنَّ هذه التكرارات لم تأتِ مصادفةً أو بشكل اعتباطي فإن كلا من :

(هدانا – لنهتدي – هدانا) : أفضى تكرار حرف الهاء الهوائي إلى مزيد من الانتعاش أثناء نطق الكلمة ممَّا يُقرَّب المعنى من الدلالة المرادة وهي الانتعاش والحياة المرافقة للاهتداء ، لأنَّ نطق حرف الهاء الهوائي يستلزم من النَفَس أن يزيد ، ليضع المتلقي في دوائر متنوعة من الراحة ، والسعة فتنتقل إليه لا شعوريا الراحة مع اللفظ ، بالإضافة إلى تعميق هذا الإيحاء من خلال تكرار الكلمة وتكرار حرف الهاء وبصورة خاصة في أمكنة متقاربة في جمل متتالية وبشكل مكثف .

(وجدنا – وجدتم) : هذا التقابل في الإيجاد رغم تكرر الحروف يفضي إلى مفارقة تعطي أنواعا متعددة من المعاني منها السخرية ، ومن تبيان الفرق الهائل في المعنى والإيجاد رغم تشابه الحروف ، ممَّا يُعمَّق المعنى فإيجاد المؤمنين غير إيجاد الكافرين ، وأصحاب النار وأصحاب الجنة كلاهما قد وجد ، ولكن طبيعة الإيجاد تختلف ، وقد أصرَّ الخطاب القرآني على التعبير بالكلمة نفسها للإشارة بشكل باطني إلى التدقيق في اختلاف كبير في نوعية الإيجاد ، هو نوع من الدعوة إلى التدقيق في الأمور وبواطنها.

وينطبق الذي سبق قوله على قوله تعالى (ماوعدنا ربنا حقاً) وقوله (وما وعدكم ربكم حقاً)

(أذن مؤذن): يؤدي كلّ من الجناس والتكرار وظيفة التوكيد واقناع تلقي اكثر، فعند إسناد الفعل إلى فاعله كما هو هنا نرى إيحاءً طبيعيا بالتثبيت ، والتوكيد ممَّا يدفع المتلقي إلى مزيد من الاقتناع ، بسبب ما يسمى التفصيل ، فالتفاصيل الدقيقة عادة ما تقترن بالصدق ، و أن ذكر الفاعل من جنس الفعل هنا وبحروفه نفسها هو جناس صوتي قوي يُعبِّر عن معرفة الفاعل وقصديته في الفعل من جهة ، وعلى التثبت من الفعل من جهة أخرى .

ونجد التكرار أيضا في قوله تعالى : (**لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ**)[الأعراف ٤١] .

في هذه الآية الكريمة يتميز اللفظ الخطابي بالقوة والتوجّه والتبكيت الذي هو شدة التعنيف والإنكار ، من خلال تكرار الحروف في الخطاب، ومن خلال تكرار حرف الهاء والميم .

ثانياً: الاحتباك:

الاحتباك لغةً:

من الحبك ومعناه: ((الشدُّ والإحكام وتحسين أثر صنعة الثوب))[1]

وجاء في اللسان : ((الحبك: الشدُّ، واحتبك بإزاره: احتبى به وشدّه إلى يديه، والحبكة أن ترخي من أثناء حجزتك من بين يديك لتحل فيه

(١) القاموس المحيط، مادة حبك ، ٢٩٧/٣.

الشيء ما كان، وقيل الحبكة: الحجزة بعينها ومنها أخذ الاحتباك بالباء وهو شد الإزار))[١].

الاحتباك اصطلاحاً:

يقول السيوطي: ((مأخذ هذه التسمية من الحبك الذي معناه الشدّ، والإحكام، وتحسين أثر الصنعة في الثوب، فحبك الثوب سدّ ما بين خيوطه من الفرج، وشدّه، وإحكامه بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن والرونق، وبيان أخذه منه من أن مواضع الحذف من الكلام شبهت بالفرج بين الخيوط، فلما أدركها الناقد البصير بصوغه الماهر في نظمه، فوضع المحذوف مواضعه كان حائكاً له مانعاً من خلل يطرقه، فسدّ بتقديره ما يحصل به من الخلل مع ما أكسبه من الحسن والرونق))[٢].

فيما يعرف أحمد مطلوب الاحتباك: ((وهو أن يجتمع في الكلام متقابلان، فيحذف من كلّ واحدٍ منهما مقابله لدلالة الآخر عليه))[٣].

ومن الاحتباك نذكرُ قولَهُ تعالى:(**فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا**)[مريم:٦٨].

وقد وقع الاحتباك في الحذف هنا ،لدلالة السياق عليه ، والأصل أن يكون التعبير لنحضر الكافرين من الإنس ونحضر الشياطين من الجنّ حول جهنَّم جثيا .

(١) لسان العرب، مادة حبك : ٤٠٧/١٠.
(٢) الإتقان في علوم القرآن، ٣ /٢٠٥-٢٠٦.
(٣) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ٥٥/١.

وفي المعنى نفسه نجد الاحتباك في قوله تعالى :(**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا**)[غافر: ٤٦].

وهذا من الاحتباك لأنّه حذف من الثاني بعد (غدوا) (يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا) لدلالة (يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا) التي في أول الجملة .

ثالثاً: الموازنة:

الموازنة لغةً:

وزن الشيء وزناً ووزنة. واتزن يكون على الاتخاذ وعلى المطاوعة.. والوزنة المرأة القصيرة، وأكل فلان وزمة ووزنة أي وجبة. وأوزان العرب: ما بنت عليه أشعارها، واحدها وزن، وقد وزن الشعر وزناً فاتزن[١] .

الموازنة اصطلاحاً :

نوعٌ من أنواع البديع اللفظيّ يقع في النثر والنظم: وهي تساوي الفاصلتين في الوزن دون التقفية[٢]

و مثاله قوله تعالى: (**فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ)** [الغاشية ١٠ – ١٦].

إن الآيات السابقات كما رأينا تجمع بين أكثر من لون بديعي ، فيما الأولى توافق السجع تأتي الآيتان الأخيرتان لتعطيا معنى خاصا من

(١) ينظر: لسان العرب، مادة وزن :١٣ /٤٤٦.
(٢) في البلاغة العربية علم البديع، ٢٣٩.

خلال لون بديعي آخر مشابه للسجع وهو الموازنة ، إذاً الموازنة تشبه السجع من حيث تشابه الفواصل في الوزن، وتخالفه في مفارقتهما للتقفية الواحدة. إنّ الفاصلتين اللتين اختتمت بهما الآيتين (١٥ و١٦) متشابهتان في الوزن (مصفوفة- مبثوثة) غير أنهما اختلفتا في القافية. ولعلّ الموازنة والفاصلة على صلة قرابة مع السجع بل لنقل هما قرائن له. و في الحقيقة ((كلّ سجع موازنة، وليس كلّ موازنة سجعاً، وعلى هذا فالسجع أخصّ من الموازنة))[1].

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله تعالى:(قُلْ إِنَّ الخَاسِرِيْنَ الَّذِيْنَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيْهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الخُسْرَانُ المُبِيْنُ لَهُمْ مِنْ فَوقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ يَاعِبَادِ فَاتَّقُونِ) [الزمر:١٥-١٦].

نرى في الآيه السابقة (مِنْ فَوقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ ، وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ) موازنة ، وتعمل هذه الموازنة التي تعاونت مع السجع ومن الطباق في إنشاء حالة المعنى والإحاطة المتمكنة من هؤلاء المعذبين في النار ، لتكون توكيدا إيحائيا بقوة الإحكام للنار عليهم من تحتهم وفوقهم ، وفي ذلك وضع للمتلقي بشعور الكافرين في النار من التضييق والانزعاج الشديد ، وعدم الأمل في الابتعاد عن النار ، وقد زاد المعنى قوة من خلال ذكر الظلال ، ونعلم أن ظل النار يعني أن النار أبعد أو فوقهم و تحتهم ، وبذلك تكون الإحاطة أُقوى وأكثر تمكينا ، حيث ما يحيطهم هو ظلال النار و النار تحيط بهم على مسافات بعيدة ، فآليّة التكرار الموظّفة هنا تخدم فكرة إحاطة

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ١١١.

النار بهم من كلّ جانب (من فوقهم) و(من تحتهم) يحاصرون بالنار ولامفرّ. يلفتنا هنا الكلمة المختارة (ظلل)،إذ أفاضت بدلالتها على السياق، وأغنت الدلالة العامة المقصودة التي تفيد إحاطة النار بالخاسرين، وحصارها لهم من كلّ جهة، وإحاقتها بهم. وقد ذكرنا ذلك سابقا ، مما يُوحي بتعاضد الدلالات وأقسام علم البلاغة في تكوين المعنى .

ولعلّ للموازنة وظيفتها الفنيّة المخصوصة لما يثيره الوقف عند الفواصل المتقاربة والمتشابهة في الوزن من تنغيم، وإطلاق جرس خاصّ يحرّك عواطف المتلقي، ويستحوذ على انتباهه. وكما عهدنا القرآن يوظّف المحسّنات البديعيّة في غايات دينيّة وعظيّة إلى جانب استثمار طاقاتها الفنيّة، مما يضفي على هذا الكلام فوق سحره سحراً. فيجمع بذلك رونق الشكل، وخصوصية المضمون وفرادته في تكامل يصبّ في تأكيد إعجازه، ومصدره فوق البشريّ.

رابعاً: الفاصلة:

الفاصلة لغةً:

ما يفصل بين شيئين، وهي إحدى علامات الترقيم في الكتابة، إذ توضع هذه العلامة بين الجمل التي يتركّب منها كلام تام الفائدة، و توضع بين الكلمات المفردة المتصلة بكلمات أخرى تجعلها شبيهة بالجملة في طولها[1] .

الفاصلة اصطلاحاً :

(١) ينظر: المعجم الوسيط، ٦٩٨/٢.

الفاصلة القرآنيّة وفق المصطلح، هي كلمة تختم بها الآية، وهي من حيث الشكل الظاهريّ كقافية الشعر، وقرينة السجع، هذه الفاصلة تقع عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام به، وهي الطريقة التي يباين القرآن الكريم بها سائر الكلام من شعر ونثر(١) .

قال تعالى:(وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ)[الواقعة ٢٩ – ٣٠]

(منضود ، ممدود) صحيحٌ أنّ للفاصلة وظيفة موسيقيّة تشيع إيقاعاً خاصّاً في جو الآيات الكريمات غير أنّ هذا لاينافي وظيفتها الدلاليّة الثريّة بالمعنى والدلالة .إنّ الآيتين توزعتا على فقرتين متساويتين واختتمتا بالوقف على كلمتين متشابهتين في الوزن والقافية.

أيضاً جاء الوصل ظاهرة أسلوبية جميلة في النظم والنسق القرآني عامة وفي السورة خاصة ، فقد ترد جملة مفصولة عمّا قبلها من جمل ، وتأتي في ترتيب آخر مع الوصل بما قبلها .وبذلك يكون الوصل والفصل وسيلة فنيّة متميزة ، و جاء في قوله تعالى : (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ) [الحج : ٣٤].

تتناسب العبارات والتراكيب وترتيبها مع الانفعالات التي يجري تصويرها والتي يراد إيصالها للقارئ. ويعمد الخطاب لتوظيف الفصل والوصل بإتقان، فكأنّما الكلمات والعبارات تجري على رتم الانفعال المقصود تصويره.

(١) ينظر: دراسات فنية في القرآن الكريم، أحمد ياسوف، دار المكتبي، سوريا-دمشق، ط١،٢٠٠٦م،٤٦٠.

وهنا مكمن ذكر الجنة في البشارة ، فهي إذن مكان الخير والبشر والسعادة وهو إيحاء وصفي لها والحقّ أنّ ((موسيقى القرآن واضحة لكلّ نظر دقيق، وهي ذات هدف دينيّ جماليّ معاً، فهي رمز هادف))[1].

وقال تعالى :(فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ) [الواقعة ٥٤ – ٥٥] .

وهنا نلاحظ الفاصلة في (الحميم ، والهيم) .

قد تمرّدت الفاصلة على القافية، وحطّمت كثيراً من قيودها، وإن كانت تمتّ لها بالقرابة أو لنقل هي معادلها الموضوعيّ في القرآن إن صحّ التعبير.

ومن مظاهر حريّة الفاصلة أنّها حرّة موسيقيّاً مقيّدةٌ بالمعنى، وقد تجاوزت أسساً كثيرةً من أسس فنّ القافية، كوحدة حرف الرويّ الذي يسبق الرّدف، أي الحذو، واختلاف سِناد التوجيه أي حركة الحرف الذي يكون قبل الرّوي المقيد[2] .

ومن اختيار الفاصلة أيضا قوله تعالى : (ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا) [مريم٦٩].

(١) دراسات فنية في القرآن الكريم: ٢٨٠.
(٢) ينظر: المصدر نفسه، ٢٧٣-٢٧٤.

ونلحظ في الآيات الكريمات السابقات احتقارا واسعا تم تأكيده من خلال النسق الصوتي ، والتشديد واختيار حرف الياء المطلق بواسطة الألف والمدعم بالتشديد للتعبير عن الاحتقار لهؤلاء الكفار ولمصيرهم القوي (حرف الياء المشدد) والمطلق الدائم (الانتهاء بحرف الألف) .

أي عظمة هذا المصير وقوته وأهميته ، وشدته ليترسخ هذا الأسلوب في النفس ، فالياء بشكل طبيعي تعبر عن الشدة والقوة والانكسار ، والألف مطلقة في مساحتها الصوتية وفي قوتها وتصل إلى مسافات شاسعة فكأنه يقول لنا من خلال الفاصلة المتكررة المختارة هنا للتعبير عن هذا العذاب إنّ هذا العذاب قوي مشدد ويكسر الكافرين وعميق للغاية وهو دائم وممتد كأمتداد لفظ الألف الصوتي (ا) كما في (عتيّا – صليّا – مقضيّا – جثيّا) فـ " التوكيد يرسخ المعنى نفسيا في المتلقي[1] .

و أن هناك معاني إضافية في كل توكيد نراه في الآيات القرآنية الكريمة، لأن النص القرآني نص مكثف، أسلوبيا، وبلاغيا ، ومن ناحية المعنى والإعجاز بجوانبه كافة ، حتى أنّ الكلام العادي في إعادته معان عظيمة يقودنا السياق إليها .

ومن الفاصلة أيضا قوله تعالى :﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا

(١) أسلوب التوكيد في القرآن الكريم، ٢٦٦ .

لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ) [الصافات ٦٢ – ٧٠].

نلحظ هنا أن الفاصلة أتت كأنها مهلة طبيعية تحمل معنى الوقوف ، وكأنها إيحاء بالتمهل لمعرفة الحكم ، والتأمل بالمعنى المراد ، وإيحاء بأهمية المعنى ، وضرورة الوقوف عند الجمل وتأملها ، فعند كل وصف وقوف ، وكأنه إخبار بمدى أهمية هذا الكلام ، ومدى ضرورة التدقيق فيه خطوة خطوة ، وهو نوع من التفسير المنطقي الذي يتبعه النص القرآني ، الذي يجعل المتلقي أكثر انشدادا وحذرا مع هذا النص ، ليتنبه أن هناك شيئا ما ، فنرى الفواصل تأتي بعد كل خطوة وكأنها تسير ببطء في سبيل استكمال صورة هذه الشجرة وصورة العذاب ، إن الفواصل هنا أعطت المتلقي نوعا من التمهل الإجباري ، والوقت الممتد في قراءة تلك الفكرة من جهة ليجبره على التفكر والوقوف ، ومن جهة أخرى ليعطي إيحاء ببطء الوقت والتأمل أكثر في هذه الصورة ، فهي صورة تنقل العذاب في النار ، وهذا العذاب يجب أن ينقل بصورة متمهلة لا تعكس فقط العذاب ، ولكن تعكس أيضا مدى المعاناة الممتدة ، و أنّ كثرة الوقوف وقصر الجمل في هذه الآيات تعطي إيحاء بأن العذاب ممتد ، وذلك ظاهر حتى في استعمال (ثم) في قوله تعالى (ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ)[الصافات : ٦٧] ،وكثرة التوكيدات وهي ما تتعاضد مع الحركة الموسيقية البطيئة الإيقاع في كثرة الفواصل القرآنية من أجل نقل صورة العذاب الطويل المتمهل الممتد ، ليزداد نقل الصورة قوة وفاعلية في المتلقي والسامع ، كما أنها تتفاعل مع حركة موسيقية

هي سجع متنقل متنوع ، فعبارة تنتهي بحرف الميم ، والتي بعدها نون ، فميم ، فنون ، وهو ظاهر من خلال الكلمات التي تحتها خط :(أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ)[الصافات ٦٢ – ٧٠].

فهنا تتعاضد مختلف الطرق البديعية من أجل تقوية المعنى وسبكه ، ومن خلال السجع المتداخل الذي تحدثنا عنه سابقاً .

خامساً: حسن الابتداء وحسن التخلص:

١ – حسن الابتداء : الابتداء لغةً:

جاء في اللسان: والبدء فعلُ الشيءِ أوّلُ بَدأَ بهِ وبَدَأَهُ يَبدَؤُهُ بدءاً وأبدأه وابتدأه. وأبدأتُ الأمر فعلته ابتداءً[١] .

حسن الابتداء اصطلاحاً:

هو أن يجعل أول الكلام رقيقاً سهلاً، واضح المعاني، مستقلاً عما بعده، مناسباً للمقام، بحيث يجذب السامع للانتباه بكليّته، لأنّه أول ما يقرع السمع، وبه يعرف مما عنده.. وتزداد براعة المطلع حسناً إذا دلّت على المقصود بإشارة لطيفة، وتسمى براعة استهلال: وهي أن يأتي الناظم أو الناثر، في ابتداء كلامه بما يدلّ على مقصوده منه

(١) ينظر: لسان العرب، مادة بدأ : ٢٧/١.

بالإشارة لا بالتصريح.. ويعني أيضاً براعة الطلب، هي أن يشير الطالب إلى ما في نفسه، دون أن يصرّح بالطلب[١] .

مثال ذلك قوله تعالى:(قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ)[آل عمران١٥].

نلاحظ حسن الابتداء هنا أو حسن استهلال المتحدّث الذي لجأ إلى التلميح بديلاً عن التصريح ، وبكلّ سلاسة، ولطف اختصر وقال: (قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا) فأوحى كلامه بما يريد قوله لاحقاً دون التصريح.

فالمتكلم ((الحاذق يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلّص وبعدها الخاتمة، فإنّها المواقف التي تستعطف أسماع الحضور، وتسليمهم إلى الإصغاء))[٢].

وذلك في الكلام البشري فكيف بالقرآن الكريم، الذي فاق كلام البشر وجعلهم عاجزين امام بيانه.

ومن حسن الابتداء أيضا قوله تعالى: (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) [الرحمن ٤٢- ٤٥].

(١) ينظر: جواهر، ٤١٩-٤٢٠.
(٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، مصر،١٩٦٦م،٤٨.

فقد ابتدأ بسؤال يحمل معنى الاستغراب ، ويرتبط بشكل ما بالذي بعده ، وهو نوع من حسن الابتداء ، فقد مهد لعقاب الذين يكذبون بعبارة هي توبيخ واستغراب ، وسؤال محير فيه تبكيت للسامع ، فقد ابتدأ باستغراب من فعلهم وهو الكذب ، ثم تكلم عن جزاء كذب المجرمين بالتفصيل ، وهنا حسن ابتداء وحسن انتقال كما نرى ، وله تأثير كبير في المتلقي من حيث تهيئته لمعرفة الفكرة القادمة ، وربط الأفكار منطقيا والتمهيد لها بما يعزز الفكرة .

٢ – حسن التخلص : التخلّص لغةً:

جاء في اللسان: خلَص الشيء بالفتح يخلُص خُلُوصاً وخلاصاً إذا كان قد نشبَ ثم نجا وسَلِمَ وأخلص الشيء اختاره[١] .

حسن التخلّص اصطلاحاً:

هو((الانتقال مما انفتح به الكلام إلى المقصود مع رعاية المناسبة، وأحسنه أن يكون الانتقال على وجه سهل يختلسه اختلاساً دقيق المعنى بحيث لايشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلّا وقد وقع الثاني لشدّة الالتئام بينهما))[٢].

قال تعالى:(كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ) [آل عمران١٨٥] .

(١)ينظر: لسان العرب، مادة خلص : ٢٦/٧.
(٢) كشاف اصطلاحات الظنون، محمد علي الفاروقي التهانوي الحنفي، وضع حواشيه أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط٢، ٢٠٠٦م، ٥٣٠.

حسن التخلص في الآية الكريمة نجده في انتقاله بين المواضيع بسلاسة دون أن يشعر المتلقي بملل أو انقطاع؛ إذ انتقل من الحديث عن الموت إلى يوم القيامة إلى النجاة ، ليفضي الحديث إلى الخلاصة وهي (لا تتعلقوا بالدنيا فالحياة متاع الغرور)، وحسن التخلص هنا يأتي أيضا من اتصال الدائرة في الحديث فقد بدأ بالموت تزهيدا بالحياة وعرض المآل بعدها بنوع من العظة ، ثم عاد إلى البدء وهو الحياة ولكن بالتزهيد فيها وهو المطلوب .

ومن حسن التخلص المثال السابق الذي ذكرناه في حسن الابتداء في قوله تعالى :(فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) [الرحمن ٤٢- ٤٥].

اذ انتهى بما بدأ به ، وقد كانت ملائمة لمعنى الكذب ، ومعنى الفعل القبيح الذي افتعلوه بالكذب ، فكانت العبارة تشكل حسن ختام ، لأنها عبرت عن مدى كفرهم ، ومدى غبائهم ومخالفتهم للمنطق بهذا التكذيب .

وكذلك نجد حسن الختام بالمعنى نفسه في السورة نفسها في قوله تعالى :(فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ فَبِأَيِّ آلَاءِ

رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) [الرحمن ٧٠ – ٧٨].

فهنا حسن ختام وانتقال عن طريق الانتهاء بصفة الله ذي الجلال والإكرام ، فكل ما ذكره في الآيات السابقات من سورة الرحمن تفضي إلى معنى الكرم المذكور ، وهو يعد حسن ختام ، لارتباط المعنى وقوته .

المبحث الثاني: المحسّنات المعنويّة

أولاً: الطباق:

الطباق لغةً :

قال الخليل:((طابقتُ بين الشيئين إذا جمعت بينهما على حذو واحد وألزقتهما))[١]. و جاء في اللسان" تطابق الشيئان تساويا. والمطابقة: الموافقة. والتطابق: الاتفاق، وطابقت الشيئين: إذا جعلتهما على حذو واحد وألزقتهما))[٢].

الطباق اصطلاحاً:

((هو الجمع بين الضدين أو المعنيين المتقابلين في الجملة))[٣] وفي الإيضاح: ((هو الجمع بين المتضادين، أي معنيين متقابلين في الجملة))[٤].

---

(١) كتاب العين، ١٠٩/١.
(٢)لسان العرب ، مادة طبق : ٢٠٩/١٠
(٣) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب،١٣٠.
(٤) الإيضاح في علوم البلاغة، ٤٧٧.

ويقسم الطباق إلى نوعين :

أ – طباق الإيجاب : ويكون بالشيء وضده .

ب – طباق السلب : ويكون بالشيء ونفيه .

أ – طباق الإيجاب :

ومثاله قوله تعالى : (كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ)[الحج : ٤] .

الطباق في(يضله ويهديه) طباق إيجاب.

والطباق يرخي على الآيات ميزاته على صعيد الإيقاع وعلى صعيد الدلالة في تعميق الدلالة وتوضيحها والسخرية من الكافرين ومن مآل هدايتهم .

ليس النص القرآني نصاً يعتمد على التلوين الموسيقي ، ولكنه قطعاً أيضاً غير خالٍ منه ، وهو في النص القرآني نغم يسري لاعباً دوراً قوياً وفاعلاً في التعبير عن المعنى وتوضيحه ، قال تعالى :(**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ**)[البقرة ١٧٤ – ١٧٥] .

إن استخدام ((الطباق الإيجابي وهو تضاد كلمتين بلفظين مختلفين وليس بالنفي))[1] يقوي المعنى ، ويدعم نسق الكلام وانسيابيته وسهولته على المتلقي ، مما يجعله يركز لا شعورياً على الصورة هنا والمعنى .

وهذا ما نراه في موضع آخر من السورة أيضا في التضاد والطباق الإيجابي بين لفظتي النور والظلمات ، في قوله تعالى : **(يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ)** [البقرة ٢٥٧] .

وهذا التقابل بين الكلمتين يسهم في توضيح المعنى وتقويته وتجسيده بشكل أوضح .

ومن الطباق أيضاً قوله تعالى : **(وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ)**[الأعراف: ٥٠].

والطباق هنا بين أصحاب الجنة وأصحاب النار ، وقد جاء الطباق هنا لتوضيح المعنى، وإبراز الفرق بين الفئتين .

ومن الطباق أيضا قوله تعالى :**(اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ)**[الحديد:٢٠]

(١) اللغة العربية وأساليب بلاغتها في الشعر العربي المعاصر، لؤي كرمان حليم ، دار النوارس ، عمان ، الأردن، ط٢ ، ٢٠١١ م ، ١٧٣ .

فالطباق موجود في التعبير القرآني بين العذاب الشديد ، والمغفرة والرضا من الله تعالى ، وهنا الطباق يحمل للمتلقي رسالة كبيرة للغاية ودقيقة أيضا تسهم في فهمه لطبيعة النص القرآني الناتح دوما للمدلولات السياقية النصية التي تأتي حصرا من سياقاته المتداخلة المتعددة في طرائق تعبيريها ، والمتداخلة علائقيا على مستوى تضافر جهود اللغة التعبيرية ، ونقصد بذلك أن المعنى هنا يكمن في تنافره بين العذاب والسخط ، وبين المغفرة والرضا ، ولكن اللافت فعلا ليس فقط التنافر على مستوى الصورة في العقاب والشعور ، ولكن أيضا لننتبه جيدا إلى العذاب المقترن طبيعيا بالسخط وإن لم يكن مذكورا وبين الرضا الذي ذكر لكونه شيئا محبوبا ، فطبيعة النص القرآني جعلت المكروه غائبا عن الصورة مستدلا عليه من خلال السياق بينما أظهرت المحبوب من الرضا ، وهنا علامة دقيقة للغاية فالعذاب يقترن بالسخط ولكن السخط ليس دائما ، وهنا يجب أن ننتبه إلى دقة التعبير القرآني الكريم ، فالرضا في حال دخول الجنة دائم بطبيعة الكرم الإلهي ، ولكن السخط حتى مع دخول النار ليس دائما ، ولذلك فقد امتنع النص القرآني لكراهيته ولعدم ديمومته عن ذكره ، فمن المعروف أن هناك فئات تعذب في جهنم ، ولكنها تُدخل بعدها في الجنة ، وهناك فئة تسمى عتقاء الرحمان أيضا وهم فئة لم يفعلوا خيرا قط ، فحتى هؤلاء ينالهم من رضا الله تعالى وكرمه ، ولذلك فمن طبيعة المن الإلهي أن جعل الرضا مقترنا بالمغفرة وتجاوز السيئة والمن بالتفضل ، ولكن العذاب ليس مقرونا بشكل دائم بالسخط هذا من جهة .

أما من جهة ثانية يجب أن نلاحظ المنّ الإلهي والدقة القرآنية في التعبير بين العذاب والمغفرة ، وهما ضدان هنا ، إذن من لا يعذب وضده ليس المنزه عن ارتكاب الإثم بل يكفي قبول التوبة ، وتحصيل مغفرة الله تعالى ، مما يجعل الضد هنا على مستوى العمل ، وعلى مستوى الموقف من الله تعالى ، وليست الصورة المتنافرة هنا بين شيئين متضادين في النوع ، بل بين شيئين متساويّين في الواقع وهما نوعان من الناس المرتكبين للذنوب ، منهم لم يتب أو لم يحصل مغفرة الله تعالى وهؤلاء إلى العذاب ، ومنهم من تاب وحصل مغفرته تعالى فنال الرضا والغفران .

ونلاحظ هنا التكثيف القرآني الذي قابل بين شيئين ليسا في المستوى نفسه، فمقابلة العذاب يجب أن تكون بالهناءة، ولكن الله تعالى هنا لم يوضح معنى الهناءة بل اكتفى بالتعبير بـ المغفرة والرضوان ، وهنا نتساءل لماذا؟.

ربما يكون الجواب هو أن اختفاء العذاب وحده هو كاف من جهة ، لأنه من عظيم ، ولأن المن الحقيقي ، والسعادة الحقيقية هي في تحصيل المغفرة والرضا وهي حب الله ، وربما أراد الله تعالى تشويق عقل المتلقي إلى نوعية هذا العطاء فاكتفى بالإشارة إلى مسببه ، وربما أراد تعالى أن يوضح الهدف من الدنيا ، أو كل ما سبق مجتمعا .

ومن الطباق أيضا قوله تعالى :﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٦].

نرى هنا اقتران صفة السواد بالنار ، والبياض بالجنة ، وهنا الطباق عمَّق المعنى ، وأعطاه بعدا إضافيا ، إذ جاء الطباق موضحا للمعنى ليس فقط من خلال اختيار الشيء وضده ،بل من خلال ربط كل من النار والجنة والرضا والسخط والخوف والذل بالألوان ، من خلال جعل كل واحدٍ منهما على أقصى طرفي النقيض ، فكما نعلم السواد والبياض أقصى نقيضين وأوضح نقيضين يمكن أن يظهرا بشكل واضح ، وقد استعملهما التعبير القرآني لإيضاح الصورة والفرق بين الحالين من الوجهة النفسية ومن الوجهة المآلية ، بمعنى أن مآل وشعور ومصير كل من الفريقين مختلف اختلافا كبيرا كما هو الاختلاف بين السواد والبياض .

ثم أنّ التعبير هنا بالطباق لا يكمن في التنافر فقط ، بل بالاختيار أيضاً إنّ اللون نفسه هنا يختزن كثيرا من المعاني التي يستمدها من ضدِّه في السياق التعبيري ، فالبياض هنا مع ذكر السواد استدعى إلى ذهن المتلقي كثيرا من الدلالات الإيحائية والمناخات التعبيرية الخاصة بكل منهما والمرتبطة بالعلاقة بينهما المستدعية إلى الذهن بقوة وحضور الضد ،

فاللون الأبيض يعاكس اللون الأسود في :

١ – الاختلاف الواضح الشديد .

٢ – طبيعة العطاء والإشعاع فاللون الأبيض عاكس مشع معطٍ بطبيعته ، واللون الأسود ممتص كامد عاتم بطبيعته .

٣ – اللون الأبيض دلالة السعادة والأمور الجيدة والاستبشار ، واللون الأسود غالباً ما يدلّ على الحزن في العرف البشري ودلالة على الألم والغم والنكد والذهول والمرض الشديد .

وهذه الدلالات كما نرى تتكامل في نفس المتلقي من خلال الطباق بين صورتي البياض والسواد فهناك كثير من المعاني والمدلولات المستمدة من الدوال السياقية ، التي دون سياقها النصي الضدي لم تكن لتوجد بهذه القوة ، وهنا يبرز مدى براعة و مناسبة استعمال هذا اللون البديعيّ تحديداً في هذا المقام، ومدى ملاءمته للسياق، وهذا التقسيم كما نلاحظ هو تقسيم موظّف، وهادف، و مناسب لغرض الآية الكريمة؛ وهو إيضاح الفروق بين السواد والبياض .

ثانياً: التورية:

التورية لغةً:

جاء في اللسان (ورى): ((وريتُ الشيء واريته: أخفيته. وتوارى: استتر. ووريت الخبر: جعلته ورائي وسترته. ووريت الخبر أورّيه تورية: إذا سترته وأظهرت غيره))[١] .

التورية اصطلاحاً:

((وهي أن يطلق لفظ له معنيان: قريب وبعيد، ويراد به البعيد منهما))[٢] وتسمى التوجيه والإيهام والتخييل والمغالطة[٣]

(١) ينظر: لسان العرب، مادة ورى :٣٨٧/١٥.
(٢) الإيضاح في علوم البلاغة ، ٤٩٩.
(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن، ٤٤٥/١.

قال تعالى : (وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ)[غافر:٦].

في الآية الكريمة السابقة نرى أن مفردة (كلمة) تحمل معنيين ، المعنى الأول : المعروف هو الحديث واللفظ الحامل للمعنى ، ولكن المعنى المورى به هنا هو العقاب والوعد الرباني بالجزاء على الأعمال ، ويحمل هذا الأسلوب متعة خفية إذ يجبر العقل على البحث عن المعنى المقصود بالتورية هنا ، ويحصّل له لذة الاكتشاف ، والمعنى المخبوء كما نعلم أقوى وأكثر تأثيرا في المتلقي ، لأنه لا يتصف بالمباشرة ، كما أن النص القرآني هنا يحاول تبطن كل الأساليب المؤثرة في النفوس ، فما يكتشفه الإنسان بنفسه عادة يميل إليه ويعتنقه بقوة أكبر ، والنص القرآني يريد من المتلقين له أن يعتنقوه ، ويؤمنوا ، لذلك تتنوع أساليب التأثير فيه .

التورية في (كلمة) تحتمل معنيين الأول هو اللفظ كما ذكرنا ، وهو معنى غير مقصود. و المعنى الثاني الجزاء والعقاب والوعد الرباني وهو معنى بعيد، وهو المعنى المقصود. وهذه تورية مجردة؛ لم يذكر فيها شيء مّما يلائم المورى به ولا المورى عنه، وإنّما يقود السياق ذهن القارئ إلى المعنى الثاني المقصود. ولايخفى ما للتورية من جانب فنيّ يكمن في متعة اكتشاف المعنى المخبوء وربط الدوال بدلالاتها.

وأنّ دلالتها الأيحائية توجي بأمثل وأعمق من الفهم المتعارف لكل مفردة ينطلق ما وراء حدود اللفظ ليعالج ما بعد المكشوف ، وهذا يتحقق في الكلام الذي يرومه الذكي البليغ من اخفاء ما في نفسه وقول ظاهر لسانه قد يحقق الغرض من ذلك ، وعلاوة على ذلك يثير

في نفس المتلقي تاملات يتمكن من خلالها على الربط بين المعنين وتوثيق بينهما[1]

وهذا ما ورد في قوله تعالى :(وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ)[الأعراف٥٠] .

إذ أتت كلمة أصحاب من باب المشاكلة ، وفي الواقع ليس من في النار أصحاب لها ، وليس من في الجنة أصحاب لها ، ولكنها أتت من باب المشاكلة التي أِعرت المتلقي هنا أن الكافرين من كثرة لصوقهم في النار ، والعذاب ، والإحاطة بهم ، وتمسكها بهم لا أمل لهم بالهروب فهي كالصاحب ، وكذلك الجنة لأهلها .

(١) ينظر: ظاهرة التورية في شعر العصر المملوكي وآثرها في تعميق المعنى دراسة بلاغية تحليلية، د. حسين عبد العال اللهيبي، مطبعة تموز ديموزي للطباعة والنشر والتوزيع ـ دمشق، ط١ ،٢٠١٨، ٦٥م

ثالثاً: المقابلة:

المقابلة لغةً:

هي إيراد الكلام ثمّ مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة[١] .

المقابلة اصطلاحاً هي : الجمع بين شيئين متوافقين والمراد بالتوافق خلاف التقابل[٢] .

جاء في الإيضاح المقابلة: ((هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة، ثمّ بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب))[٣]

مثال ذلك قوله تعالى: **(يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ، وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)**[آل عمران١٠٦ – ١٠٧] .

المقابلة هنا جاءت بين معنيين (تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ) و **(فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ، وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)**.

(١) ينظر:علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، ٧٢.
(٢) ينظر : مختصر المعاني : ٢٦٧
(٣)الإيضاح في علوم البلاغة، ٤٨٥.

وللتقسيم الذي نشأ عن المقابلة كما نلاحظ رونقه البديع، فقد انقسم المعنى وتوزّع على طرفيّ نقيض ومااستخدم اللون البديعيّ هذا عبثاً أو لغرض تزييني فنيّ فقط فلقد عوّدنا القرآن الكريم على اقتران الجمال بالفائدة، وكلّما لجأ الخطاب القرآنيّ إلى لون بديعيّ أو بيانيّ قرنه بغرض دينيّ محدّد، لايفوت المدقّق إدراك لمسة الوعظ ،والحثّ على التأمل والتفكّر. والمقابلة لها شبه إذاً مع الطباق في سوق الأضداد، وتفارقه في التعدد والترتيب. وللمقابلة أن يكثر أطرافها، وكلّما كثر عدد المقابلات كانت في نظر البلاغيّين أبلغ وأبدع. فقد ((رأى علماء البديع أنّ أعلى رتب المقابلة وأبلغها ما كثر فيه عدد المقابلات لكن شريطة الابتعاد عن التكلّف والإسراف فيه، وقد اشترط السكاكي أن تقتصر المقابلة على الأضداد فحسب))[1] .

وأيضا في قوله تعالى : (إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيْمٍ وَإِنَّ الفُجَّارَ لَفِي جَحِيْمٍ) [الانفطار:١٣-١٤].

فنلحظ هذه المقابلة في الجملتين بين الكلمات ، في طباق محكم على صعيد الجملة ، وهو ما يخلق صورتين متضادتين كل منهما في مواجهة الأخرى ، تبرزها وتقويها ، وتضعها على عمق أكبر من الإشارة إلى الفرق بين الحالين ، وإلى نوع من التناسب أيضا ، فالمقابلة هنا أفضت إلى نوع من التناسب بين مآل الأبرار ، ومآل الفجار ، وتتماسك البنى التعبيرية مع بعضها حتى على الصعيد اللفظي ، فنرى هذا النوع من التطابق في الوزن ، والموسيقى الناتجة عن إيقاع الكلمات ، بين الأبرار – الفجار ، ونعيم – جحيم ، وهذا

(١)علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، ٧٤.

التوازن اللفظي يفضي إلى نوع من الشعور بأن الجملتين متشابهتان ، ولكن معرفة المعنى تناقض هذا الشعور الإيقاعي الناتج عن الكلمات ، ولكن هذه المناقضة تخدم معنى النص ، لتبين أن الإيقاع وإن كان واحدا إلا أنّه يختلف كثيرا من ناحية تعبيرهِ عن الفكرة ، فالإيقاع الممتع ينسابُ في الأذن موصلا الفكرة بشكل أعمق من ناحية ، وأكثر سلاسة من ناحية أخرى ، وكأنه تعالى يقول لنا ، إن مآل الأبرار بشكل طبيعي وسلس إلى الجنة والنعيم ، ومآل الفجار بشكل طبيعي أيضا ومنطقي إلى الجحيم.

رابعاً: المشاكلة:

المشاكلة لغةً: ((الشكلُ بالفتح الشبه والمِثل والجمع أشكالٌ وشكول والمشاكلة الموافقة والتشاكل مثله والشاكلة الناحية والطريقة))[١] .

المشاكلة اصطلاحاً:

وهي أن ((تذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته))[٢].

ويقوم هذا الأسلوب على فكرة المخادعة[٣]، لأنّ السامع أو المتلقي يتوهّم أنّ المعنى الثاني هو الأوّل، فإذا فكّر وتأمّل علم أنّه غيره[٤]

ومثال المشاكلة قوله تعالى :(فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ)[الرحمن ٦٨]

(١) لسان العرب:١١ /٣٥٦.
(٢) مفتاح العلوم ،٤٢٤.
(٣) ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، جميل عبد المجيد، سلسلة دراسات أدبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م،١٠٦.
(٤) ينظر: البديع في ضوء أساليب القرآن، ابن أبي الإصبع المصري، تقديم وتحقيق حفني محمد شرف،مكتبة نهضة مصر بالفجالة، مصر، ط١،١٩٥٧م ،٨١.

فالوصف هنا أمر تفصيليّ موضّح من الله تعالى بما أراد أن يكون عليه العبد ليرتقي إلى السعادة في الجنة ، وهذا يثير التأمّل والتفكير فيما نعّم به الله تعالى عبده، وتكمن مفاجأة المتلقي في أنّ هذا الأسلوب تكون حركة اللسان فيه أسرع من حركة الذهن على خلاف المألوف في إنتاج الكلام عموماً، فالعدول هنا خروج على عدّة مستويات ينتهي إلى أن تأتي الدلالة من غير مصدرها اللغويّ من دون أن يكون في ذلك تفكيك للعلاقة بين الشكل والمضمون[1] .

فالمعنى هنا ليس الطعام العادي الدنيوي الذي نعتقده ، وإنما هو وجه تقريبي لنقدر على تخيل الموجود في الجنة ، فهو بالتأكيد ليس كالرمان العادي في الأرض ، لأن الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

ومن المشاكلة قوله تعالى :(**الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**) [التوبة٧٩].

فهنا استعمل لفظ السخرية لله إنما هو من قبيل المشاكلة لفعلهم ، وليس تعبيرا حقيقا ، فكان رداً ملائماً على سخريهم ، وأفعالهم ، وقد جاء هذا التعبير لإشعار المتلقي أنهم سينالون من جنس أعمالهم.

(١) ينظر: البلاغة العربية قراءة أخرى،محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان ناشرون سلسلة أدبيات، بيروت،١٩٩٧م،٣٧٦.

خامساً: الالتفات:

الالتفات لغةً:

لفتَ وجهه عن القوم صرفه، والتفت التفاتاً. والتلفت أكثر منه. والتفت إلى الشيء والتفت إليه: صرف وجهه إليه[١] .

الالتفات اصطلاحاً: عرّفه التفتزاني بقوله ((هو العدول عن مساق الكلام الى مساق آخر متمم للاول على وجه المثل او غيره))[٢] .

يعرّفه ابن المعتز: هو انصراف المتكلّم عن المخاطبة إلى الإخبار، وعن الإخبار إلى المخاطبة، ومايشبه ذلك. ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر[٣]

و الالتفات أن يكون الشاعر آخذاً في معنى، فيعترضه إمّا لشك فيه أو ظن بأنّ راداً يردّ عليه قوله، أو سائلاً يسأله عن سببه، فيعود راجعاً إلى ماقدمه، بمعنى يلتفت إليه بعد فراغه، فإمّا يذكر سببه أو يجلي الشك فيه[٤].

يقول تعالى : ﴿لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ

(١) ينظر: مادة لفت : ٨٤/٢.
(٢) مختصر المعاني : ٧٨
(٣) ينظر: البديع في البديع، عبد الله بن المعتز، تحقيق:عرفان مطرجي، دار الجيل، ط١، ١٩٩٠م ،٥٨.
(٤) ينظر: نقد الشعر، قدامة بن جعفر، مطبعة الجوانب، قسطنطينية، ط١ ،١٠٦.

فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ)[الواقعة ٥٢ – ٦٠] .

الالتفات في (شاربون – نزلهم و خلقناكم – تصدقون – أفرأيتم). فالانتقال من صيغة الغائب إلى الخطاب المباشر تقنية كانت لها وظيفتها المحدّدة في سياق الآية الكريمة، ولاستخدام الالتفات هنا أداء أدقّ للمعنى وللغرض الدينيّ، الوعظيّ، التحذيريّ؛ فهو إنّما يبتغي الحصول على استنكارهم للحال فحوّله عنهم إلى مباشر للتنبيه ،ولو ظلّ الخطاب مباشراً لما تحقّقت ردّة الفعل المطلوبة.

يقول ابن الأثير: فإنّه إنّما صرف الكلام ههنا من حال إلى حال بين خطابي وغائب لفائدة وهي أنّه ذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها كالمخبر لهم، ويستدعي منهم الإنكار عليهم، ولو أنّه ساق الغائب معهم إلى آخر الآية، لذهبت تلك الفائدة التي أنتجها الخطاب المباشر(١) .

ومن الالتفات قوله تعالى :(وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً) [الكهف٤٧].

وفعل الحشر ماض ، وفعل نسير وترى تعطي معنى المستقبل ، وهنا الالتفات إلى الفعل الماضي والزمن الماضي بعد المستقبل تضع المتلقي في خضم الصورة وتقنعه أكثر وتعبر عن الصورة بشكل أكثر واقعية ولصوقا ، وهو نوع أيضا من الإيحاء بسرعة وصول يوم

(١) ينظر : المثل السائر، ١٧٠.

الحشر ، ولذلك عبر عنه تعالى بالماضي ، وأيضا بسبب التثبت والتوكيد على قدوم هذا اليوم والفعل الماضي دوما يعبر عن حدث موثوق ، نظرا لكونه حصل وانتهى ولا مجال للتشكيك بإمكانية وقوعه ، وهذا المعنى هو المعنى المراد من التعبير السابق بحسب ما نرى .

سادساً: تأكيد المدح بما يشبه الذم

المدح لغةً:

((المديح نقيض الهجاء، وهو حسن الثناء. ويقال فلان يتمدّح إذا كان يقرّظ نفسه، ويثني عليها))[١] .

تأكيد المدح بما يشبه الذم اصطلاحاً:

إنّ أول من فطن إلى هذا النوع من البديع المعنويّ هو عبد الله بن المعتز. وهو ضربان: أولهما: أن يستثنى من صفة ذمّ منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها في صفة الذم. وثانيهما: إثبات صفة مدح لشيء تعقبها أداة استثناء يكون المستثنى بها صفة مدح أخرى له. كقول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): أنا أفصح العرب بيدَ أنّي من قريش" حيث أنّ ذكر أداة الاستثناء يوهم إخراج شيء مما قبلها من حيث أن الأصل في مطلق الاستثناء هو الاتصال، فإذا ذكر بعد الأداة صفة مدح أخرى جاء التوكيد[٢]

وفي قول الرسول(صل الله عليه وآله وسلم): أنا أفصح العرب ثم يلي العبارة باستثناء(بيد) إيهام بأنّ ما سيأتي هو ذم لبداهة أنه منقطع في

(١) لسان العرب، مادة مدح :٢/ ٥٨٩.
(٢) ينظر: في البلاغة العربية علم البديع،١٦٤-١٦٦.

الحكم عن ما قبل الاستثناء، وهنا تلاعب في سبك العبارة ، وتحوير لأسلوب الاستثناء جعل هزّ أفق التوقع عند القارئ مركز المتعة، واللعبة الجماليّة. فبعد الاستثناء يتفاجأ المتلقي بأنّ الصفة التي تلت هي ليست عيباً البتة (أنّي من قريش). بل مدح يثني على المدح السابق ويعضده.

قال تعالى :(لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلَّا سَلَاماً وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّاً) [مريم٦٢] ، وقوله تعالى : (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً وَكَأْساً دِهَاقاً لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا كِذَّاباً جَزَاء مِّن رَّبِّكَ عَطَاء حِسَاباً)[النبأ ٣١ – ٣٦] .

ذم صفة واقعة في النفي عن الشيء ، وهي خاصة بالمدح ، بتقدير وجودها في سمة من سمات الذم .

وفي هذا الأسلوب إمتاع للقارئ بمخالفة توقعاته ، والتعبير المختلف الجاذب للذهن ، وتوضيح الفكرة عن طريق النقيض.

سابعاً : تأكيد الذم بما يشبه المدح :

الذمّ لغةً: ((الذمّ نقيض المدح. والعرب تقول ذمّ يذمّ ذمّاً وهو اللوم في الإساءة))[1]

تأكيد الذم بما يشبه المدح اصطلاحاً:

وتأكيد الذم بما يشبه المدح كنقيضه السابق ضربان:

(١) لسان العرب، مادة ذمم : ١٢ /٢٢١.

١-أن يستثنى من صفة مدح منفيّة عن الشيء صفة ذم، بتقدير دخولها في صفة المدح. كقولنا (وفلان لاخير فيه إلّا أنه يسيء إلى من أحسن إليه).

٢- أن يثبت للشيء صفة ذم وتعقب بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى له.(فلان فاسق إلّا أنّه جاهل). والضرب الأول يفيد التأكيد من وجهين والثاني من وجه واحد(١)

ولهذا الأسلوب؛ تأكيد المدح بما يشبه الذم وتأكيد الذم بما يشبه المدح جماليّته التي يسدلها على الخطاب، فيتلاعب بالقارئ ،ويمتّعه بلعبة الإيهام حتى تتحقق غاية المتعة عند إدراك المعنى المراد بعد أن انزاحت الدلالات بفعل لعب الدوال.

ومثاله قوله تعالى : (كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ) [الحج : ٤] .

نرى هنا التأكيد بتكرار المعنى بين كلمتي يضله ويهديه ، والهداية هي كما نعلم للأمر الجيد ، وتبدو كأنها مدح ، ولكنها في الواقع ذم وسخرية من هؤلاء الذين اتبعوا أنفسهم فكانت هدايتهم إلى النار التي تستعر باللهب .

وفي قوله : (بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ)[البقرة ٨١].

(١) ينظر: في البلاغة العربية علم البديع، ١٧٠.

نرى في الآية الكريمة شيئا من الذم بما يشبه المدح ، وهو ما يوصل السخرية من هؤلاء ، وتبيان الفرق الكبير بين ما فعلوه والنتيجة المرادة ، فكان الكسب هنا للسيئة ونعلم أن الكسب يكون عادة بالخير ، لأن طبيعة لفظ الكسب هي لجلب منفعة وتحقيق شيء جيد لصاحبه ، ولكنه هنا تعبير عن السخرية من جهة ، وعن تأصل الفساد والكفر في نفس البعض حتى أصبح يُعدُّ السيئة كسبا ولا يدرك كينونتها من كفره حيث لا يؤمن بأنه سيعاقب عليها .

ثامناً: الطي والنشر:

أو اللف والنشر:

الطي لغةً:

((الطيّ نقيض النشر، وطوى البلاد طياً: قطعها بلداً عن بلد. وطوى الله لنا البعد أي قربه. والنشر لغةً: ونشرت الأرض تنشر نشُوراً أصابها الربيع فأنبتت. ونشر المتاع وغيره ينشر نشراً بسطه. والنشر خلاف الطي))[1] .

أمّا اصطلاحاً: فقد عرّفه التفتزاني بقوله :((هو ان يلف شيئين يورد تفسيرهما جملة ثقة بأن السامع يميز ما لكل واحد منهما))[2] ، وذكره القزويني بأنّه :((ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال، ثمّ ذكر ما لكلّ واحد من غير تعيين، ثقة بأن السامع يرده إليه)).[3]

(١) ينظر: لسان العرب، مادة طوي ومادة نشر :٥ /٢٠٦.
(٢) مختصر المعاني : ٢٧٢
٣ : الإيضاح في علوم اللغة، ٥٠٣.

ومما فيه طي ونشر في القرآن الكريم قوله تعالى :(**وَالَّذِيْنَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً ، إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمَقَامًا)** [الفرقان:٦٥-٦٦].

وذلك من باب تبيان محل ومعنى الغرام هنا ، وهو اللصوق الشديد ، ثم يأتي بيان وتفصيل هذا اللصوق بقوله هي مكان المستقر والإقامة لهؤلاء الكفار .

ومن باب النشر قوله تعالى : (**وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ**)[النساء:١٢٤].

وللنشر والطي جماليته التي تكمن في إشراك المتلقي في إعادة تركيب المعنى وترتيب الدوال وربطها بمدلولاتها.وهنا جاء النشر على ترتيب الطي فنرى في الآية السابقة كيف شرح معنى – مَن – (ذكر أو أنثى) ، ففصل بالمعنى بعد ذكره مجملا .

(**يَومَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ**)[هود ١٠٥ – ١٠٨] .

نلاحظ كيف تم تفسير الآية بعد الإيجاز من خلال حكم شقي وسعيد ، ثم أتى التفصيل بالمعنى المقصود في الآيات اللاحقة ، واختار التركيب على هذا النحو ثقة بمعرفة القارئ المعنى ووضوحه.

وقال تعالى : (وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)[البقرة١١١] .

فقد ذكر النص القرآني الفريقان أولا على الشكل المجمل لهما ، والمعنى : على رأي اليهود لن يدخل الجنة سواهم ، وعلى رأي النصارى لن يدخل الجنة إلا النصارى ، وهنا الكلام غير غامض بسبب تضاد وكراهية كل من الفئتين للأخرى وإنكارها الجنة عليها ،وبالتالي وضح الكلام والقصد ، وهو من اللف والنشر .

الخاتمة

في نهاية هذه الرسالة نرى أن الأساليب تتعاضد معا في سبيل تشكيل الصورة وأن الصورة البلاغية لا تتشكل فقط من ناحية واحدة ، ولا يمكن إدراك احداها معزولة عن بعضها ، فأدراك القرآن الكريم بعظمته ، أو بجزئية منها يجب تسخير كل المعارف البشرية اللغوية وغير اللغوية من أجل تكوين صورة ولو بسيطة عن إعجازية هذا الكتاب المقدس.

لقد كان الوجه التشبيهي في غاية الدقة والتنوع كما رأينا في صور الجنة والنار ، والخطاب الخاص بالجنة والنار تميز بشكل خاص فقد امتازت آيات النار كما رأينا بقوة التشابيه وميلها إلى المادي ، بينما مالت آيات الخطاب الخاص بالجنة إلى التشبيه المعنوي المجرد ، ولم تخلُ بالطبع من الوصف المادي ، فتنوعت أساليب التشبيه التي عنت في كل موقع معنى معينا مناسبا.

لقد تميز السياق التشبيهي في خطاب الجنة والنار في القرآن الكريم بالتوظيف الجمالي ، المائل إلى أسلوب التأثير العاطفي والجدل الفكري ، وقد سخر القرآن الكريم بلاغة اللغة العربية وأخرج طاقاتها الكامنة في سبيل استحضار صور مؤثرة وعميقة ومفهومة في الوقت نفسه.

وقد رأينا تنوع الصيغ التشبيهيه في قسم التشبيه الذي تناولنا فيه خطاب الجنة والنار تحديدا ، ورأينا الأبعاد الدلالية السياقية ،

وإرهاصاتها الخاصة ، ومناخاتها الإبداعية ، وقد لاحظنا معا ميل اللغة القرآنية إلى تقريب الأشياء المعنوية من الحسم والفهم البشري والخيال البشري عن طريق الصور المادية .

ونرى من خلال الدراسة أن الأساليب البلاغية ليست أمراً ثانوياً في رسم المعنى ، بل هي تسهم إسهاماً فاعلاً في صوغ المعنى وتقويته ، وأن الخطاب القرآني قد تنوع في مسألة النار والجنة ، وأنه شكّل طريقة فاعلة في بناء المعنى وتشكيل أنماط إيحائية قوية ، وقد وصلنا إلى استنتاجات عدة :

١. مسألة خطاب الجنة والنار مسألة مهمة جداً ، ذلك أنها تمثل الثواب والعقاب ، وقد تلائمت الأساليب في التعبير عن كل فكرة ، فأتت الأساليب في التعبير عن الجنة رقيقة ولكنها قوية في الوقت نفسه ، بمعنى أنها أتت بأسلوب ناعم .
٢. كانت أساليب التعبير عن النار وأساليب الخطاب في معظمها مكثفة لاستحضار النار والرهبة منها أمام المتلقي ليوضع مسبقاً في جو الصورة ، ولذلك لاحظنا معظم التشبيهات تميل إلى المادية أو التجسيد المادي لفهم الصورة بشكل أوسع .
٣. النص القرآني ليس شعراً ، ولكن هذا لا يعني خلوه من الفنون البديعية والفواصل الصوتية التي تخلق نسقاً نغمياً داخلياً إلى ما يحدثه من انسيابية صوتية، فإنه قطعاً يدعم المعنى من خلال ترديد أو تكرار حرف ما له موقع ومعنى محدد أو يؤكد على معنى ما ، أو يخلق بتكراره شعوراً ما يلائم الفكرة .
٤. تتنوع الخطابات في القرآن الكريم ، وهو نفسه مع التركيب البلاغي دلالة على معجزة النبي الأكرم الدائمة .

٥. كانت خطابات آيات النار تمتاز بالحدة والقوة والعنف أكثر بكثير من خطابات الجنة ، التي امتازت بدورها بالتنوع والميل إلى اللين وتخصيص المؤمنين .

٦. تحديد نوع ما من الخطاب لآية ما لا يعني نفي أنواع الخطاب الأخرى فبعضها متداخل.

٧. إنّ اختيار الكلمات وترتيبها في الخطاب القرآنيّ لايأتي عبثاً البتة، فكلّه مدروسٌ بعناية، وموظّفٌ لغاية، يخدم السياق ويتواءم معه، فتندسُّ التراكيب في تضاعيف البنية الكليّة بانسجام تامّ مع باقي البنيات الأخرى.

٨. في الخطاب القرآنيّ يجري اختيار الكلمات وحتى الحروف بعناية فائقة وكلّ له وظيفته وفاعليّته التي لاغنى عنها ولابديل لها. فحين يذكر بعض الكلمات والحروف ويحذف بعضاً فلكلٍّ هدف ووظيفة معيّنة تخدم السياق والمعنى العام.

٩. تتناسب العبارات والتراكيب مع الانفعالات التي يجري تصويرها والتي يراد إيصالها للقارئ. ويعمد الخطاب لتوظيف الفصل والوصل بإتقان، فكأنّما الكلمات والعبارات تجري على نمط الانفعال المقصود تصويره.

١٠. إنّ جميع ألوان البلاغة موجودة ومتعاونة بشكل مذهل ورائع في سبيل إخراج الصورة البلاغية والتعبير المبدع الدقيق الذي يريده القرآن الكريم ، والواقع أننا لا يجب أن نظن أن ألوان البديع والبيان المتنوعة ، وأن الفن البلاغي موجود في القرآن لمجرد التحلية اللفظية أو الشكلية ، وإنما هو وإن كان خادما لهذا الغرض إلا أنه مشارك في صوغ المعنى وتشكيله .

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر محمد السيوطي(ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط) ١٩٧٥م.

٢. الأثر النفسي للقرآن الكريم، خليفة حسين العسال، كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية، جامعة قطر (د.ط) (د.ت).

٣. الإحساس بالجمال تخطيط لنظرية في علم الجمال، جورج سانتيانا، ترجمة: محمد مصطفى بدوي، المكتبة الأنجلو مصرية القاهرة ،(د.ط) (د.ت).

٤. الإحكام في أصول الأحكام، سيف الدين علي بن أبي علي الآمدي (ت٣٧٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)١٩٨٠م.

٥. أدب الكاتب، ابن قتيبة (ت٢٢٦هـ) تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، ، مطبعة السعادة، مصر، ط٤، ١٩٦٣م.

٦. أساس البلاغة، الزمخشري (ت٥٣٨هـ) محمود بن عمر الزمخشري جار الله أبو القاسم، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨ .

٧. أساليب المعاني في القرآن، السيد جعفر السيد باقر الحسيني مؤسسة بوستان كتاب، ط١، (د.ت).

٨. استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٤.

٩.أسرار البلاغة، الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) تحقيق محمد رشيد رضا والشيخ أسامة صلاح الدين منيمنة، دار إحياء العلوم، بيروت لبنان، ط١ ، ١٩٩٢ م.

١٠. أسرار العربية، أبو البركات عبد الرحمن الأنباري (ت٥٧٧هـ) تحقيق: فخر قدارة، دار الجيل، بيروت، ط١، ٩٩٥ .

١١. أسلوب التوكيد في القرآن الكريم، محمد حسين أبو الفتوح، مكتبة لبنان، بيروت، ط١،١٩٩٥ م .

١٢. الأسلوب والأسلوبية نحو بديل ألسني في نقد الأدب، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، تونس، (د.ط) ١٩٧٧م.

١٣. الأسلوب والأسلوبية، بيير جيرو، ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنماء القومي، بيروت–لبنان، (د.ط) (د.ت).

١٤. أسلوبية البيان العربي من أفق القواعد المعيارية إلى آفاق النص الإبداعي، د. رحمن غركان، دار الرائي العربي للدراسات والترجمة والنشر، دمشق–سوريا، ط١، ٢٠٠٨م.

١٥. أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم، محمد حسين علي الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

١٦. إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمار للنشر والتوزيع عمان، ط١، ٢٠٠٠ م.

١٧. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، د. مصطفى صادق الرافعي. دار الكتاب العربي بيروت–لبنان، (د.ط)١٤١٠هـ،١٩٩٠م.

١٨. إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (ت٤٠٣هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط٥، ١٩٩٧م.

٢١. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط) (د.ت).

٢٢. أنواع الخطاب في القرآن الكريم، محمد أنس سومر، دار الدراسات الإسلامية الحديثة، دمشق، سورية، ط٢، ١٩٩٩م.

٢٣. الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ) تحقيق: الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، المكتبة الأزهرية للتراث– القاهرة، ط٣، ١٩٩٣م.

٢٤. البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، جميل عبد المجيد، سلسلة دراسات أدبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط) ١٩٩٨م.

٢٥. البديع في البديع، عبد الله بن المعتز(ت٢٩٦هـ)، تحقيق: عرفان مطرجي، دار الجيل، ط١، ١٩٩٠م.

٢٦. البديع في ضوء أساليب القرآن، ابن أبي الإصبع المصري، تحقيق: حفني محمد شرف، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، مصر، ط١، ١٩٥٧م .

٢٧. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، (ت ٧٩٤هـ)تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط١، ١٩٥٧م.

٣٠. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، ط٧، ٢٠٠٥م.

٣١. البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، الدار الشامية للطباعة والنشر والتوزيع ط٢،(د.ت) .

٣٢. البلاغة العربية قراءة أخرى، محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان ناشرون سلسلة أدبيات، بيروت(د.ط)، ١٩٩٧م.

٣٤. البلاغة في ثوبها الجديد، بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، ط٩، (د.ت).

٣٥.البلاغة والاتصال، عبد المجيد جميل، دار غريب للطباعة والنشر، ط١، (د.ت).

٣٨. بيان إعجاز القرآن، الخطابي (ت٣٨٨هـ)، تحقيق: عبد الله الصديق، دار التأليف، مصر (د.ط) (د.ت) .

٣٩. البيان، إبراهيم مصطفى وآخرون، المطبعة الأميرية، القاهرة،(د.ط)، ١٩٥٢ .

٤٠. التأثيرات الأسلوبية في الكلمات العربية ضمن النصوص النثرية، سمير الساحلي عبد الإله ، دار الكتاب المفتوح، القاهرة، مصر، ط٢، ٢٠٠٩ م .

٤١. التبيان في تفسير القرآن، شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، (ت٤٦٠هـ) تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط) (د.ت).

٤٢. التداوليات وتحليل الخطاب، جميل حمداوي، مكتبة المثقف، ط١ ، ٢٠١٥م.

٤٤. تشكيل الخطاب الشعري- دراسات في الشعر الجاهلي، موسى ربابعة، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان (د.ط) ٢٠٠٥م .

٤٥. التشكيل الصوتي في اللغة العربية فونولوجيا العربية، تأليف :الدكتور سلمان حسن العاني، ترجمة : الدكتور ياسر الملاح، مراجعة : الدكتور محمد محمود غالي، مطبعة النادي الادبي الثقافي ـ المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٤٦. تصنيف أساليب التشبيه في سورة البقرة وأغراضه، محمد عارف مصطفي، (د.ط)(د.ت) .

٤٧. التصوير البياني- دراسة تحليلية لمسائل البيان، محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة ، (د.ط)، ٢٠٠٢ م.

٤٩. التطبيق البلاغي على سورة البقرة – دراسة بلاغية جمالية، د. عمر ألباني ساهمان، دار النشر الإسلامي، الرباط، (د.ط)، ١٩٩٩م .

٥٠. تفسير البغوي، الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦هـ)، دار ابن حزم، ط١،٢٠٠٢م .

٥١. التفسير البياني للقرآن الكريم، د.عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، بيروت، ط.٧، (د.ت).

٥٢. تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز البحوث الدراسات العربية والإسلامية بدار هجر،(د.ط) (د.ت).

٥٣. تفسير القرآن الكريم، السيد عبدالله شبّر، مكتبة الالفين، الكويت، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م .

٥٤. تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد أحمد الأنصاري القرطبي

(٦٥٦هـ)، تحقيق: سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط٢، ٢٠٠٤م .

٥٥. التفسير الكبير، فخر الدين محمد عمر الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار الفكر، ط١، ١٩٨٥م .

٥٦.تفسير المنار، محمد رضا رشيد (ت١٣٥٣هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ط) ١٩٩٠م.

٥٧. التلخيص في علوم البلاغة، جلال الدين القزويني، تحقيق: عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، (د.ط)١٩٣٢م.

٥٨. الثقافة العربية الحديثة والمرجعيات المستعارة، عبد الله إبراهيم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء–بيروت، ط١،١٩٩٩م.

٥٩. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، تحقيق: د.يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ط) ١٩٩٠م.

٦٠. حاشية السيد علي المطول، علي بن محمد السيد الشريف، مطبعة أحمد كامل، القاهرة، (د.ط) ، ١٣٣٠هـ .

٦١. الحديث في البلاغة، نرجس مرزوق، دار الإشراق الفكري، بيروت، لبنان، (د.ط) (د. ت) .

٦٣. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط٤، ١٩٩٧م .

٦٤. دراسات فنية في القرآن الكريم، أحمد ياسوف، دار المكتبي، سوريا–دمشق، (د.ط) ٢٠٠٦م.

٦٥. الدعوة الإسلامية، د.أحمد غلوش، (د.ط) دار الكتاب المصري– اللبناني، ١٩٧٨م.

٦٦. دلالات التركيب، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٩٨٧م .

٦٧. الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى، كاظم حامد عباس، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠٤م .

٦٨. دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، (ت٤٧١هـ) تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي –مكتبة المدني، القاهرة–جدة (د.ط) (د.ت).

٦٩. الدليل إلى البلاغة وعروض الخليل، علي جميل سلوم، دار العلوم العربية، بيروت، (د.ط)١٩٩٠م.

٧٠. رسائل إخوان الصفا، إخوان الصفا، دار صادر، بيروت، (د.ت)،(د.ط).

٧١. سقف النظر في علاقات النص، عمرو صباني بوعريف، دار الكتاب العالمي، عمان، ط١، ٢٠٠٧ م

٧١. سلطة النص قراءات في توظيف النص الديني، عبد الهادي عبد الرحمن، سينا للنشر والانتشار العربي، ط٢، ٢٠٠٣م .

٧٢. شرح السنة، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: شعيب أرناؤوط-محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق-بيروت، (د.ط)(د.ت).

٧٣. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط١، ١٩٥٩م.

٧٤. شروح التلخيص، بهاء الدين السبكي القزويني، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ط) (د.ت).

٧٥. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ط٤، ١٩٨١م.

٧٦. الصناعتين: الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري(٣٩٥هـ)، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)(د.ت).

٧٧. الصورة الأدبية في القرآن الكريم، د.صلاح عبد التواب، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة، ط٤، ١٩٩٥ .

٧٨. الصورة الاستعارية في الشعر العربي الحديث رؤية بلاغية لشعرية الأخطل الصغير، د.وجدان الصائغ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،(د .ط)، ٢٠٠٣م .

٨١. الصورة الفنية في المثل القرآنيّ، محمد حسين الصغير، دار الرشيد للنشر، بغداد، (د.ط) ١٩٨١م.

٨٢. الصورة الفنية معياراً نقدياً، د. عبد الإله الصائغ، دار الشؤون الثقافية العامة– بغداد، (د.ط)١٩٨٧م.

٨٣. الصورة والبناء الشعري محمد حسن عبد الله، دار المعارف، مصر، (د.ط) (د.ت).

٨٤. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم الحسيني العلوي الطالبي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

٨٦. ظاهرة التورية في شعر العصر المملوكي وآثرها في تعميق المعنى دراسة بلاغية تحليلية، د. حسين عبد العال اللهيبي، مطبعة تموز ديموزي للطباعة والنشر والتوزيع ـ دمشق، ط١، ٢٠١٨م.

٨٧. علم الدلالة، أحمد مختار عمر، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، (د.ط)(د.ت).

٨٨. علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار، القاهرة، مصر، ط٤، ٢٠١٥ م .

٨٩. علم المعاني في البلاغة العربية، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٩ م.

٩٠. علم المعاني في شعر نزار قباني (دراسة بلاغية)، سعيد مرق، المدى العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٩م .

٩١. علم المعاني والبيان والبديع، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٧٠م.

٩٢. علم المعاني، أحمد محمود نخلة، دار العلوم العربية، بيروت، (د.ط) ١٩٩٠م.

٩٣. علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، محمد أحمد قاسم، محيي الدين ديب، المؤسسة الحديثة لكتاب، طرابلس–لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.

٩٤. علوم البلاغة، أحمد مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية، بيروت ، (د.ط)(د.ت).

٩٥. العمدة في صناعة الشعر ونقده، ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ)، تحقيق، د.النبوي عبد الواحد شعلان مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠– ١٤٢٠هـ.

٩٦. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٠هـ)، تحقيق: د.مهدي المخزومي، د.إبراهيم السامرائي، بغداد، (د.ط)، ١٩٨٢م.

٩٧. فتح باب رب البرية في شرح نظم الأجرومية، للعلامة محمد بن أبَّ القلاوي الشنقيطي، تحقيق: الشيخ أحمد بن عمر الحازمي، (د.ط)(د.ت) .

٩٨. فن البلاغة، عبد القادر حسين، عالم الكتب، ط٢، ١٩٩٨م.

٩٩. في البلاغة العربية علم البديع، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ط)(د.ت).

١٠٠. في النص الأدبي–دراسات أسلوبية إحصائية، د.سعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٢م.

١٠١.في النقد الأدبي، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٨، ١٩٩٣م.

١٠٢. في بلاغة القرآن أسرار الفصل والوصل، صباح عبيد درانة، ، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ط١، ١٩٨٦م .

١٠٣. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (د.ط) ١٩٥٣م .

١٠٤. القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي (ت٨١٧هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.

١٠٥. كتاب الصناعتين الشعر والنثر، أبو هلال العسكري (٣٩٥هـ)، تحقيق علي البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، (د.ط) ١٩٧١م.

١٠٧. كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي الفاروقي التهانوي الحنفي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط٢، ٢٠٠٦م.

١٠٨. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، العلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى (٥٣٨ هـ)، دار الكتاب العربي . بيروت، (د.ط) ١٤٠٧ هـ .

١٠٩. لسان العرب، ابن منظور جمال الدين (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٠م.

١١١. اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط٣، ١٩٩٨م.

١١٢. اللغة المخفية في النص النثري ، عبد الكريم حسن النايف سمران، دار الإخلاص، طرطوس، سورية، ط١، ٢٠٠٣ م.

١١٣. اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ترجمة: عباس صادق الوهاب، مراجعة: يوئيل عزيز، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ١٩٨٧م .

١١٤. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير (ت٦٣٧هـ)، تحقيق: أحمد الحوفي–بدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، (د.ط) (د.ت).

١١٥. مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء و المحققين والأخصائيين، مؤسسة الأعلمي، بيروت-لبنان، (د.ط) ١٤٢٥-٢٠٠٥م .

١١٦. مخارج الحروف وصفاتها ابو الاصبغ الاشبيلي ابن الطحان تحقيق : د.محمد يعقوب تركستاني، مكتبة مركز الصف ، ط١، ١٩٨٤م .

١١٧. مختصر المعاني، سعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٢هـ)، نشر دار الفكر، قم، بيروت، ط١، ١٤١١هـ .

١١٨. مشكل القرآن، د.عبد الله بن حمد المنصور، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢٦هـ.

١١٩. المصطلح الصوتي في الدراسات العربية :د. عبد العزيز الصيغ، دار الفكر دمشق، ط١، ٢٠٠٧م

١٢٠. معاني الصورة وشكالها في شعر عمر أبو ريشة (دراسة على شعر أبو ريشة في مرحلة الشباب)، مروان سماوي، أجيال للنشر والطباعة والتوزيع، (د.ط) ٢٠٠٥ م .

١٢١. معترك القرآن في اعجاز القران، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، بيروت.

١٢٢. معجم المصطلاحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ط١، بغداد، ١٩٨٣م.

١٢٣. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، وهبة المهندس، مكتبة لبنان، (د.ط)، ١٩٧٩م.

١٢٤. معجم المقاييس في اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ابن فارس (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: شهاب أبو كرو، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م .

١٢٥. المعجم الوسيط، أحمد عبد القادر الزيات، حامد النجار، محمد، مصطفى، إبراهيم، دار العودة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.

١٢٧. مفتاح العلوم، يوسف بن محمد بن علي السكاكي (ت٦٢٦هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١،٢٠٠٠م.

١٢٨. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، ضبطه وراجعه: محمد خليل عيتاني، ط٣، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ٢٠٠١م.

١٢٩. من أساليب التعبير القرآني، ، طالب محمد اسماعيل الزوبعي ، دار النهضة، بيروت، ط١، ١٩٩٦م .

١٣٠. مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري، مؤسسة أهل البيت، بيروت-لبنان، (د.ط) (د.ت).

١٣١. النبأ العظيم، د. دراز عبد الله، دار القلم-الكويت، ط٦، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م .

١٣٢. النثر العربي القديم واللغة المكونة، سامر الصرمان أبو الطيب، دار الزرقاء للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠٠٠م .

١٣٣. النحو الواضح الميسر، تيمور حكمت، الميسوري للنشر والطباعة والتوزيع- دمشق ، ط١، ٢٠٠١ م .

١٣٤. النداء في اللغة العربية (دراسة تطبيقية على القرآن الكريم)، فهد الصالح، دار السمهري العربي، سورية، طرطوس، (د.ط) ٢٠٠١ م .

١٣٥. النص الأدبي وعلاقات التداخل البلاغي، سما الفحل عربي ، دار السنابل الذهبية، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٨ م.

١٣٧. النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، عدنان بن ذريل، منشورات اتحاد كتاب العرب، (د.ط)٢٠٠٠.م.

١٣٩. نقد الشعر، قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ)، مطبعة الجوانب، قسطنطينية، ط١، (د.ت).

١٤٠. النكت في إعجاز القرآن(ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، الرماني (ت٣٨٤هـ)، الخطابي (ت٣٨٨هـ)، الجرجاني (ت٤٧١هـ)، تحقيق: محمد خلف الله- محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٧٦م.

١٤١. وجه الدين، ناصر خسرو، مركز تحقيقات الإسلامي، أصفهان،(د.ط) (د.ت).

١٤٢. الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، مصر، (د.ط) ١٩٦٦م.

الرسائل والأطاريح

- الإعجاز النفسي في القرآن الكريم، عبد الله علي عبد الرحمن أبو السعود، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٥.
- البعد الترابطي في القران الكريم. دراسة تفسيرية. د. اقبال وافي نجم. لعتبة الحسينية المقدسة. دار القران الكريم. شعبة البحوث والدراسات القرانية. رسالة دكتوراة. العراق كربلاء. ط١ ،٢٠١٥ م.
- البناءات الجمالية في النص القرآني، رائد مصباح الداية، رسالة ماجستير، جامعة غزة، ٢٠١١م.
- التشبيهات القرآنية وأثرها في التفسير من أول سورة يونس إلى آخر سورة العنكبوت، أحمد بن سالم الشهري، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٩م.
- التصوير البياني في حماسة أبي تمام – دراسة بلاغية تحليلية موازنة، عيسى بن صلاح الرحبي، أطروحة دكتوراه، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية.
- الصورة الفنية في القرآن الكريم، محمد طول، أطروحة دكتوراه، ١٩٩٥.
- الصورة الفنية في القصة القرآنية قصة سيدنا يوسف عليه السلام أنموذجاً دراسة جمالية، بلحسيني نصيرة، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، ٢٠٠٥-٢٠٠٦.
- النص القرآني دراسة بنيوية، باب العياط نور الدين، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، الجزائر، ٢٠١٤- ٢٠١٥م .

- النظم القرآني في سورة هود (دراسة أسلوبية)، مجدي عايش عودة أبو لحية، إشراف : أ . د محمد شعبان حلوان، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، ٢٠٠٩ م.

البحوث والدوريات

- الإعجاز في نص الخطاب القرآني، د. عصام العبد زهد، مؤتمر النص بين التحليل والتأويل والتلقي (المنعقد ٤-٦ أبريل ٢٠٠٦م)، الجامعة الإسلامية – كلية أصول الدين، ط١، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م .
- بعض أساليب التوكيد ومدى التزام الشيخ محمود الحسن الديوبندي بها في ترجمته لمعاني القرآن الكريم (تحليل وتقييم)، حافظ بشير، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية – إسلام أباد، باكستان-، المجلد: ٨، العدد الاول، يوليو - ديسمبر، ٢٠١٤ م.
- بلاغة القسم في الحديث النبوي الشريف، الأستاذة الدكتورة أميمة بدر الدين، مجلة جامعة دمشق – المجلد ٢٦ – العدد الثالث و الرابع ٢٠١٠م .
- البنية السردية في رواية أنت منذ اليوم، عبد الله إبراهيم، الأقلام، العدد الخامس، ١٩٩٣م.
- الجنة في القرآن الكريم، ابتسام عبد الكريم المدني، مجلة المصباح – العتبة الحسينية المقدسة، العدد الثالث، ٢٠١٠م.
- حوسبة لبعض أساليب التوكيد في القرآن الكريم، زينب علي خلف، ميساء عبد الكريم ناصر، منتهى الموسوي، مجلة أبحاث البصرة(العلميات) العدد الحادي والثلاثون الجزء الثاني ٢٧-(٢٠٠٥م).
- ظاهرة التقابل في علم الدلالة، أحمد نصيف الجنابي، مجلة آداب المستنصرية، العدد العاشر ، ١٩٨٤م .

Abstact

Religious discourse has a specificity and approach that differs from the rest of the literary or human discourse because it combines universality and privacy and transcends the temporal and spatial dimensions. Therefore, it is difficult this discourse from all over. In this study we study this discourse as an instance of strategies for the science of rhetoric and investment of science. In the acquisition of the miraculous privacy, this Holy discourse has stood up defying the owners of language, rhetoric and grammar and Arabic language. This speech has actually addressed the direct influence in the arts of the Arabic language and has brought about an unprecedented leap and became a standard pillar of creativity. In this way Muslims brought the ages in their attempts to clarify the homeland of miracles in it.

Our study aimed at explaining rhetorical and semantic transformstions in the ways of expressing Paradise and Hell and home rhetoric intervended through the knowledge of the statement in formulation of miraculous and expressive exegesis in the method of heaven and fire and how the discourse led its religious, informational and descriptive functions. The research has been based on the mechanisms of the analytical approach to monitor the employment stations of these methods as well as rhetorical and semantic approches.

Ministry of Higher Education and Scientific Research

Karbala University / College of Islamic Sciences

Arabic Language Department

Eloquence of Discourse in the Holy Quran

Selected Ayas Regarding Paradice and Hellfire

This is a thesis submitted by the student

Basim Sha'lan Khdhayyir

to the Council of the College of Islamic Sciences, which is part of the requirements of obtaining the Master's degree in the language and literature of the Quran

SUPERVISED BY

Assistant Professor Dr. Jassim Abdul-Wahid Rahi

1440 A.H. 2019